فضل الاستغفار

الشيخ ندا ابو احمد

الألوكة
alukah.net

الكتاب الجامع للفضائل

(٥٤)

فضل الاستغفار

الشيخ/ ندا أبو أحمد

فضل الاستغفار

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧١،٧٠)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالىٰ ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

حقيقة الاستغفار:

دعوة الله تعالىٰ عباده إلىٰ الاستغفار:

الملائكة وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين والمؤمنات:

الأنبياء يدعون أقوامهم للاستغفار:

الأنبياء يكثرون من الاستغفار:

استغفار أتباع الأنبياء:

استغفار أولي الألباب والمتهجدين:

المؤمن يستغفر لنفسه ولأبويه وللمؤمنين والمؤمنات:

فضل الاستغفار:

١ – اقتران الاستغفار بالتوحيد في كثير من الآيات والأحاديث، وكفىٰ بهذا فضلًا:

٢ – الاستغفار سبب لدفع المصائب ورفع البلايا:

٣– طوبىٰ لأهل الاستغفار:

٤ – الاستغفار ملجأ يفزع إليه المؤمنون عند رؤية الآيات الكونية التي يخوف الله بها عباده:

٥ – الاستغفار سبب لسعة الرزق وكثرة النسل ونزول الغيث من السماء:

٦ – الاستغفار سبب لحصول القوة في البدن وسعة الرزق:

٧– الاستغفار سبب لسلامة القلب وصفائه ونقائه:

٨– من أحب أن تسره صحيفته يوم القيامة فليكثر من الاستغفار:

٩ – الاستغفار صدقة تتصدق بها علىٰ نفسك:

١٠ – الاستغفار سبيل لنيل رحمة الله تعالىٰ:

١١ – الاستغفار عقب الطاعات للخوف من التقصير في حق العبودية، ولجبر النقص الذىٰ ربما يقع في الطاعة:

١٢ – الاستغفار سب لمغفرة الذنوب:

١٣ – الاستغفار سبيل للنجاة من عذاب الله:

١٤ – الاستغفار سبب لدخول الجنة:

١٥ – الاستغفار سبب لرفع الدرجات:

من صيغ الاستغفار:

أولا: من صيغ الاستغفار في القرآن الكريم:

ثانيا: من صيغ الاستغفار في السنة:

وكان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار لأمته الأحياء منهم والأموات:

وكان النبي ﷺ يحث الناس علىٰ الاستغفار ويرشدهم إليه:

حال السلف مع الاستغفار:

من آداب الاستغفار:

من لوازم الاستغفار: التحلل من المظالم:

موانع المغفرة:

فضل الاستغفار

مقدمه:

الإنسان في هذه الحياة الدنيا معرض للوقوع في الزلل والخطأ والنسيان والعصيان وهذه طبيعة البشر، **وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**

" كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ ".

وصدق القائل حيث قال:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنىٰ فقط؟

والجواب: لا أحد

ومن رحمة الله تعالىٰ بعباده أن فتح لهم باب التوبة، وحثهم علىٰ الاستغفار مهما عظمت الذنوب والأوزار.

وكان أبو ذر ﷺ يقول:" إن لكل داء دواء، وإن دواء الذنوب الاستغفار ".

ويقول قتادة -رحمه الله-:" إن هذا القرآن يدلكم علىٰ دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار ".

حقيقة الاستغفار:

والاستغفار معناه: طلب المغفرة من الله، والمغفرة عندما يطلبها العبد من ربه، يعني يسأله أن يتجاوز عن الذنب، ويمحو ويزيل أثره، فلا يعاقب عليه، ولا يؤاخذ به، فمن غُفر ذنبه لم يعاقب عليه، وهذا في حق من تاب من الذنب واستغفر الله منه، ولم يصر عليه.

الغفور، والغفار، وغافر الذنب؛ من أسماء الله تعالىٰ.

الغفور الغفار-جل ثناؤه- وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم.

ومعنىٰ الغفران والمغفرة من الله: أن يصون الله تعالىٰ العبد من أن يمسه العذاب، وغافر الذنب اسم من أسماء الله الحسنىٰ التي تضم إلىٰ التسعة والتسعين اسما المشهورة. **(المفردات في غريب القرآن للأصفهاني:٣٦٢)**

قال الغزالي-رحمه الله-:" الغفار": هو الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها الله بإسبال السّتر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، والغفر هو الستر ".

وقال الخطابي-رحمه الله-:" الغفار هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرىٰ، كلّما تكرّرت التوبة من الذّنب تكرّرت المغفرة ".

دعوة الله تعالى عباده إلى الاستغفار:

ولشرف وفضل وعلو مكانة الاستغفار دعا الله تعالىٰ عباده إليه، وحثهم عليه، وحببهم فيه:

قال تعالىٰ:﴿ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ **(سورة إبراهيم:١٠)**

وقال تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **(سورة البقرة:١٩٩)**

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ **(سورة هود:٣)**

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ **(سورة النساء:١١٠)**

وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ **(سورة آل عمران: ١٣٥،١٣٦)**

والآيات في هذا المعنىٰ أكثر من أن تحصىٰ، وما ذكر فيه الكفاية.

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: فِيما رَوَىٰ عَنِ اللهِ

تَبارَكَ وَتَعالَىٰ أَنَّهُ قالَ: يا عِبادِي! إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي، لوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ منكم؛ ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ ".

والشاهد من الحديث هو قوله تعالىٰ:"... يا عِبادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ... ".

ورواه ابن ماجه ولفظه:" كلُّكم مُذنبٌ إلَّا مَن عافَيْتُ، فاستغفروني أغفِرْ لكم، ومَن علِمَ منكم أنِّي ذو قُدرةٍ علىٰ المَغفِرةِ فاستَغفَرَني بقُدْرَتي، غفَرْتُ له ".

- وأخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قالَ اللهُ تعالىٰ:" يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعَوتَني ورجَوتَني غفَرتُ لَكَ علىٰ ما كانَ فيكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغَت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقِرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً ". (الصحيحة:١٢٧)

وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الشيطانَ قال: وعزَّتِكَ يا ربِّ، لا أَبرَحُ أُغوي عِبادَكَ ما دامتْ أَرْواحُهم في أَجْسادِهم، قال الرَّبُّ:

وعزَّتي وجَلالي، لا أَزالُ أَغفِرُ لهم ما استَغْفَروني". (صحيح الترغيب والترهيب:١٦١٧)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَىٰ كُلَّ لَيْلةٍ إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأَسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُني فأغْفِرَ له؟".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ ".

- وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" والذي نَفسي بيدِهِ لَوْ أَخْطَأْتُمْ حتىٰ تَمْلَأَ خَطَاياكُمْ ما بين السَّماءِ والأرضِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمْ لَغَفَرَ لَكُمْ، والذي نَفْسُ محمدٍ بيدِهِ لَوْ لمْ تُخْطِئُوا لَجاء اللهُ بِقومٍ يُخْطِئُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لهُمْ ". (الصحيحة:١٩٥١)

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لو أنكم تكونونَ علَىٰ حالٍ علَىٰ الحالَةِ التِّي أنتم علَيْها عندِي، لصافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ بأكُفِّهِمْ، ولَزَارَتْكُمْ في بيوتِكم، ولَوْ لم تُذْنِبُوا، لجاءَ اللهُ بقومٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يغفِرَ لَهُمْ ". (صحيح الجامع:٥٢٥٣)

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:" لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ لهمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لهمْ ".

- أخرج الحاكم عن البراءِ ﷺ أن رجلًا قال له: يا أبا عمارةَ! قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ﴾ أهو الرَّجلُ يلقَىٰ العدوَّ فيُقاتلَ حتَّىٰ يُقتلَ؟" قال: لا، ولكن هو الرَّجلُ يُذنِبُ الذَّنبَ فيقولُ: لا يغفرُه اللهُ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٦٢٤)

- تحذير لمن يقنط الناس من رحمة الله:

- أخرج الإمام مسلم من حديث جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ حدث أنَّ رَجُلًا قالَ: **واللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللهَ تَعالَىٰ قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّىٰ[1] عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ "**.

١- يتألى: يعني: يحلف.

الملائكة وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين والمؤمنات:

لشرف وفضل وعلو مكانة الاستغفار تجد أن الملائكة وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين والمؤمنات:

قال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (سورة غافر:٧)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" صَلَاةُ الرَّجُلِ في جَمَاعَةٍ تَزِيدُ علَىٰ صَلَاتِهِ في بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ في سُوقِهِ، بضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذلكَ أنَّ أَحَدَهُمْ إذَا تَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَىٰ المَسْجِدَ لا يَنْهَزُهُ[1] إلَّا الصَّلَاةُ، لا يُرِيدُ إلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلَّا رُفِعَ له بهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عنْه بهَا خَطِيئَةٌ، حتَّىٰ يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كانَ في الصَّلَاةِ ما كَانَتِ الصَّلَاةُ هي تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ علَىٰ أَحَدِكُمْ ما دَامَ في مَجْلِسِهِ الذي صَلَّىٰ فيه يقولونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللَّهُمَّ تُبْ عليه، ما لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، ما لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ ".

الأنبياء يدعون أقوامهم للاستغفار:

لشرف وفضل وعلو مكانة الاستغفار كان الأنبياء يدعون أقوامهم إليه، وهذا دليل علىٰ أن الاستغفار سبيل النجاة لمن أراد النجاة:

قال تعالىٰ: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَىٰ اللّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة هود:١-٤)

قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ

١- لا ينهزه: لا ينهضه.

اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ (سورة هود:٥٠-٥٢)

قال تعالىٰ:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (سورة هود:٦١)

قال تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة النمل:٤٦)

قال تعالىٰ:﴿ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (سورة هود:٨٩،٩٠)

قال تعالىٰ: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة إبراهيم:١٠)

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (سورة فصلت:٦)

الأنبياء يكثرون من الاستغفار:

ولشرف وفضل وعلو مكانة الاستغفار كان الأنبياء يكثرون منه:

١) آدم -عليه السلام-:

قال تعالىٰ علىٰ لسان آدم وحواء-عليهما السلام-: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف:٢٣)

٢) نوح -عليه السلام-:

لما دعا نوحٌ ربه في شأن ابنه الكافر: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (سورة هود:٤٥)

فلامه ربه علىٰ مقالته هذه، وأعلمه أنه ليس من أهله، وأن هذا منه عمل غير صالح: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة هود:٤٦)

فسأل ربه المغفرة وتاب، قال تعالىٰ عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة هود:٤٧)

وقال تعالىٰ علىٰ لسان نوح-عليه السلام-: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (سورة نوح:٢٨)

٣) إبراهيم عليه السلام-:

قال تعالىٰ عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (سورة إبراهيم:٤١)

٤،٥)- كليم الرحمن موسىٰ، وأخيه هارون -عليهما السلام-:

أراد موسىٰ-عليه السلام- نصرة الذي من شيعته، فوكز خصمه القبطي فقضىٰ عليه، فقال: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة القصص:١٥)

واستغفر موسىٰ لذنبه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة القصص:١٦)

وقال تعالىٰ:﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٥٥)

وقال تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ:﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٥١)

٦) وعن أبناء يعقوب- عليهم السلام-:

قال تعالىٰ عنهم:﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة يوسف:٩٧،٩٨)

٧) داود -عليه السلام-:

وقال تعالىٰ عن نبيه داود -عليه السلام-:﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (سورة ص:٢٤)

٨) سليمان -عليه السلام-:

وقال تعالىٰ عن نبيه سليمان -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة ص:٣٥)

٩) ذو النون (يونس) -عليه السلام-:

قال تعالىٰ عنه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء:٨٧)

١٠) سيد الخلق وحبيب الحق؛ النبي ﷺ:

من المعلوم من الدين بالضرورة عصمة النبي ﷺ من الذنوب والخطايا، وأن الله عز وجل غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (سورة الفتح:١،٢)

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسولَ اللهِ، وقدْ غَفَرَ اللهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ قالَ: أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا...". الحديث.

قال ابن كثير-رحمه الله-: هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره،

وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره: غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم للرسول ﷺ، وهو صلوات الله وسلامه عليه في جميع أموره علي الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينالها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر علىٰ الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة ". (تفسير القرآن العظيم:٧/ ٣١٠)

- ومع هذا كان النبي ﷺ كثير الاستغفار والتوبة امتثالًا لأمر ربه عز وجل:

قال تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (سورة محمد:١٩)

وقال تعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾ (سورة النساء:١٠٦)

وقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (سورة غافر:٥٥)

- وأخرج الطبراني وأبو نعيم في" أخبار أصبهان" عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما أصبَحْتُ غَداةً قَطُّ إلَّا استغفَرْتُ اللهَ فيها مائةَ مرَّةٍ ". (الصحيحة: ١٦٠٠) (صحيح الجامع: ٥٥٣٤)

- وأخرج الإمام مسلم من حديث الأغر المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إنَّه لَيُغَانُ علَىٰ قَلْبِي[1]، وإنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ ".

- وأخرج البخاري من حديث أبىٰ هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" واللهِ إني لَأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في كلِّ يومٍ سبعينَ مرةً[2] ".

١- إنه ليغان على قلبي: الغَين: الغيم الذي يكون في السماء، والمراد هنا ما يغشى القلب ويغطيه، أراد ﷺ ما يغشاه من السهو الذي لا يَخلو منه البشر، لأن قلبه أبدًا كان مشغولا بالله تعالى، فإن عَرَضَ له وقتًا ما عارضٌ بشريٌّ يَشْغله من أمور الأمة والملة ومصالحهما؛ عد ذلك ذنبًا وتقصيرًا، فيفزع إلى الاستغفار. (انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٣ / ٢١١) (شعب الإيمان للبيهقي:١٠/٤٠٤).

٢- قال الشوكاني -رحمه الله-: وينبغي الأخذ بالأكثر وهو رواية المائة، فيقول في كل يوم: أستغفر الله وأتوب إليه مائة مرة، فإن قال: اللهم إني أستغفرك فاغفر لي، وأتوب إليك فتب عليَّ، فقد أخذ بطرفي الطلب، والله سبحانه وتعالى غافر الذنب قابل التوب ". اهـ (تحفة الذاكرين ص٤٠١)

- وفي رواية عند الترمذي بلفظ:" إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة ". (صحيح الجامع: ٢٤٨٣)

- وفي رواية:" إني لأتوب الي الله تعالىٰ في اليوم سبعين مرة ". (صحيح الجامع: ٢٤٧٧)

وأخرج النسائي في الكبرىٰ من حديث أبىٰ هريرة ﷺ:أن رسول الله ﷺ جمع الناس فقال" يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلىٰ اللهِ، فإنِّي أَتُوبُ في اليَومِ إلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ ". (ذكره الإمام مسلم بنحوه)

- وعند البخاري في" الأدب المفرد" من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" توبوا إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فإني أتوبُ إليه كلَّ يومٍ مائةَ مرةٍ ". (صحيح الجامع:٣٠٠٥)

- وكان الصحابة -رضي الله عنهم- يحصون له في مجالسه كثرة استغفار ويعدونه.

فقد أخرج النسائي في الكبرىٰ وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال:" ما رأَيْتُ أحَدًا أكثَرَ لِأَنْ يقولَ: أستغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه مِن رسولِ اللهِ ﷺ ".

- ومر بنا الحديث الذىٰ أخرجه أبو داود والترمذي من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال:" إن كُنَّا لَنَعُدُّ لرسولِ اللهِ ﷺ في المجلسِ يقولُ:" رَبِّ اغفرْ لي، وتُبْ عليَّ، إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ مِائةَ مَرَّةٍ ".

- وأخرج الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس-رضي الله عنهما- أنَّ النَّبيَّ ﷺ قامَ في الكَعبةِ، فسبَّحَ، وكبَّرَ، ودعا اللهَ، واستَغفَرَهُ، ولم يَركَعْ، ولم يَسجُدْ ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث عليِّ بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلىٰ الصلاة قال:" وَجَّهْتُ وَجْهي[1] لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا[1]، وَما أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ، إنَّ

١- وجهت وجهي: قصدت بعبادتي للذي فطر السماوات والأرض، أي ابتدأ خلقها.

صَلَاتِي وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لا شَرِيكَ له، وَبِذلكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيْكَ، أَنَا بكَ وإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. وإِذَا رَكَعَ قالَ: اللَّهُمَّ لكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي وَعَصَبِي. وإِذَا رَفَعَ قالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ ما بيْنَهُمَا وَمِلْءَ ما شِئْتَ مِن شَيءٍ بَعْدُ. وإِذَا سَجَدَ قالَ: اللَّهُمَّ لكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ. ثُمَّ يَكونُ مِن آخِرِ ما يقولُ بيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وَما أَخَّرْتُ، وَما أَسْرَرْتُ وَما أَعْلَنْتُ، وَما أَسْرَفْتُ، وَما أَنْتَ أَعْلَمُ به مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاتِهِ، استغفرَ ثلاثًا، ثُمَّ قال:" اللهمَّ أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تبارَكْتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ، وقال الوليد- أحد رواة الحديث- فقلت: للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله ".

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت:" كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ في رُكُوعِهِ وسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ[٢] ".

١- حنيفًا: قال الأكثرون: معناه مائلاً إلى الدين الحق وهو الإسلام وأصل الحنف الميل. ويكون في الخير والشر. وينصرف إلى ما تقتضيه القرينة، وقيل: المراد بالحنيف، هنا المستقيم. (قاله الأزهري وآخرون) وقال أبو عبيد: الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم-عليه السلام-.

٢- ومعنى قول عائشة : يتأول القرآن أي يفعل ما أمر به في قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ توابا)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان النبي ﷺ إذا قامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قالَ:" اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، أنْتَ نُورُ السَّمواتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ، أنْتَ قَيِّمُ السَّمواتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ، أنْتَ الحَقُّ، ووَعْدُكَ حَقٌّ، وقَوْلُكَ حَقٌّ، ولِقاؤُكَ حَقٌّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لكَ أسْلَمْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ، وإلَيْكَ حاكَمْتُ، فاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، أنْتَ المُقَدِّمُ وأنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، أوْ: لا إلَهَ غَيْرُكَ ".

وزيد في رواية:" ولا حول ولا قوة إلا بالله ".

- وأخرج الإمام أحمد من حديث ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما- قَالَ:" كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ اسْتَغْفَرَ مِائَةَ مَرَّةٍ ثُمَّ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، أَوْ: إِنَّكَ تَوَّابٌ غَفُورٌ ".

وأخرج أبو داود من حديث ابنِ عمرَ-رضي الله عنهما- قالَ:" إن كنَّا لنعدُّ لرسولِ اللهِ ﷺ في المَجلِسِ الواحدِ مائةَ مرَّةٍ:" ربِّ اغفر لي، وتُب عليَّ، إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ ". (صحيح أبي داود: ١٥١٦)

وأخرج الحاكم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس إلا قال:" سُبحانَكَ اللهُمَّ ربِّي وبِحمدِكَ، لا إلهَ إلَّا أنْتَ، أستغفِرُكَ وأتُوبُ إليكَ"، فقلت له: يا رسول الله! ما أكثر ما تقول هؤلاء الكلمات إذا قمت، قال:" لا يقولهنّ من أحد حين يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان منه في ذلك المجلس ".

وكان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار في آخر حياته، امتثالًا لأمر الله تعالى:

قال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ(١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا(٢)

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (سورة النصر:١-٣)

ففهم عمر وابن عباس-رضي الله عنهم- أن هذا أَجل رسول الله ﷺ أعلمه الله به، فلم يبق عليه شيء، فجعل خاتمته الاستغفار.

قال ابن القيم-رحمه الله-:" أمره الله تعالىٰ بالاستغفار بعد أداء الرسالة والقيام بما عليه من أعبائها، وقضاء فرض الحج واقتراب أجله ". (مدارج السالكين:١/ ١٩٥)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" فأُمِر أن يختم عمله بهذا، فغيره أحوج إلىٰ هذا منه ". (مجموع الفتاوىٰ: ١١/ ٦٨٩)

ومر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- أنها سمعت رسول الله ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مُسْنِدٌ إليها ظهره يقول:" اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلىٰ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت:" كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مِن قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ أسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ، قالَتْ: فَقُلتُ يا رَسولَ اللهِ! أرَاكَ تُكْثِرُ مِن قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ أسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ؟ فَقالَ:" خَبَّرَنِي رَبِّي أنِّي سَأَرَىٰ عَلَامَةً في أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أكْثَرْتُ مِن قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ أسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إلَيْهِ، فقَدْ رَأَيْتُهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْحُ﴾ (النصر:١)، فَتْحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إِنَّه كانَ تَوَّابًا﴾ (النصر:٢،٣).

معنىٰ استغفاره ﷺ مع أنه معصوم:

- قال الإمام أبو حاتم -رحمه الله-:" كان المصطفىٰ ﷺ يستغفر ربه تعالىٰ في الأحوال علىٰ حسب ما وصفناه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولاستغفاره ﷺ معنيان: أحدهما: أن الله-جل وعلا- بعثه معلمًا لخلقه قولًا وفعلًا، فكان يعلم أمته الاستغفار والدوام عليه، لما علم من مقارفتها المآثم في الأحايين باستعمال الاستغفار.

والمعنىٰ الثاني: أنه ﷺ كان يستغفر لنفسه عن تقصير الطاعات لا الذنوب، لأن الله تعالىٰ عصمه من بين خلقه، واستجاب له دعاءه علىٰ شيطانه حتىٰ أسلم، وذاك أنَّ من هدي المصطفىٰ ﷺ أنه كان إذا أتي بطاعة لله عز وجل داوم عليها ولم يقطعها، فربَّما شغل بطاعة عن طاعة حتىٰ فاتته إحداهما، كما شغل ﷺ عن الركعتين اللتين بعد الظهر بوفد تميم، حيث كان يقسم فيهم، ويحمِلُهُم حتىٰ فاتته الركعتان اللتان بعد الظهر، فصلاهما بعد العصر، ثم داوم عليهما في ذلك الوقت فيما بعد، فكان استغفاره ﷺ لتقصير طاعة أن أخرها عن وقتها من النوافل لاشتغاله بمثلها من الطاعات التي كان في ذلك الوقت أولىٰ من تلك التي كان يواظب عليها، لا أنه ﷺ كان يستغفر من ذنوب يرتكبها ". اهـ (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان:٣/ ٢٠٨)

استغفار أتباع الأنبياء:

وكان أصحاب الأنبياء يكثرون من الاستغفار؛ وهذا يدل علىٰ أهميته وعلو شأنه.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٤٧،١٤٦)

وقال عن قوم موسىٰ-عليه السلام-:﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف:١٤٩)

قال تعالىٰ عن سحرة فرعون لما أسلموا لله تعالىٰ وهمَّ فرعون بقتلهم: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (سورة طه:٧٣)

وقال تعالىٰ في شأن المهاجرين-كما رجحه ابن جرير في "تفسيره": ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر:١٠)

استغفار أولي الألباب والمتهجدين:

وهذا يدل علىٰ مكانة الاستغفار الجليلة وثوابه الجزيل:

قال تعالىٰ عن أولي الألباب وسؤالهم المغفرة: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (سورة آل عمران:١٩٠-١٩٣)

وقال تعالىٰ: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (سورة آل عمران:١٧)

المؤمن يستغفر لنفسه ولأبويه وللمؤمنين والمؤمنات:

قال الله تعالىٰ إخبارًا عن نوح-عليه السلام-:﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة نوح:٢٨)

وقال تعالىٰ إخبارًا عن إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (سورة إبراهيم:٤١)

وقال تعالىٰ آمرًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ[1]﴾ (سورة محمد:١٩)

وقال تعالىٰ عن عباده المؤمنين الذين جاءوا من بعد الصحابة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الحشر:١٠)

١- قال ابن الجوزي -رحمه الله- في "زاد المسير:٧/٤٠٤":" أُمر أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إكرامًا لهم لأنه شفيعٌ مجابٌ ".

- وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن سرجس ﷺ قال:" رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ معهُ خُبْزًا وَلَحْمًا - أَوْ قالَ: ثَرِيدًا-، فَقُلْتُ له: يا رسول الله! غفر الله لك. قال:

" ولك"، قلت له: أَسْتَغْفَرَ لكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هذِه الآيَةَ: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} (محمد: ١٩)...الحديث ".

- وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:" إنَّ الرَّجلَ لتُرفَعُ درجتُه في الجنةِ فيقولُ: أنَّىٰ لي هذا؟ فيقالُ: باستغفارِ ولدِك لكَ ". (الصحيحة:١٥٩٨)

- وفي رواية:" إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّىٰ لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ ". (صحيح الجامع:١٦١٧).

قال الخطابي-رحمه الله- كما نقل هذا عنه المناوي في فيض القدير:٢/ ٣٣٩":" دل هذا الحديث علىٰ أن الاستغفار يحط الذنوب، ويرفع الدرجات، وعلىٰ أنه يرفع درجة المستغفر له إلىٰ درجة لم يبلغها بعمله، فما بالك بالعامل المستغفر؟ ولو لم يكن في النكاح فضل إلا هذا (إنجاب الولد الصالح) لكفي ".

وقفة:

الولد يستغفر لوالده المُتوفىٰ فترتفع درجة والده في الجنة، فإذا مات الابن لحق بوالده في الجنة في نفس الدرجة التي وصل إليها الوالد بفضل استغفار ولده له.

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور:٢١) أي أن الولد يلحق بوالديه في نفس درجتهم في الجنة، وإن كان عمله لم يبلغه تلك الدرجة.

- وأخرج البزار في مسنده عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لمَّا رأيتُ من النبيِّ ﷺ طِيبَ النفسِ، قلت يا رسولَ اللهِ! ادعُ اللهَ لي، قال:" اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم من ذنبِها وما تأخرَ، وما أسرَّت وما أعلنت "، فضحكت عائشةُ حتىٰ سقط رأسُها في حِجرِها من الضحِكِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" أيسرُّكِ دعائِي؟" فقالت: وما لي لا يسرُّني دعاؤُكَ؟ فقال:" واللهِ إنها لَدعوتِي لأمتي في كلِّ صلاةٍ ". (الصحيحة:٢٢٥٤)

- وأخرج الطبراني من حديث عبادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنِ استغفَر للمؤمنين والمؤمناتِ كتَب اللهُ له بكلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ حسنةً[1] ". (حسنه الألباني في صحيح الجامع:٦٠٢٦، والراجح ضعفه)

قال الشوكاني-رحمه الله-:" وفي الحديث دليل علىٰ أنها تلحق بالمؤمن في استغفاره للمؤمنين والمؤمنات حسنات بعدد من استغفر له، فإن كانوا جماعة محصورين كانت له حسنات محصورة علىٰ عددهم، ومن أراد الاستكثار من فضل الله من الحسنات، فليقل: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه يكتب له من الحسنات ما لا يحيط به حصر ولا يتصوره فكر، وفضل الله واسع ".

اهـ (تحفة الذاكرين ص٣٩٦)

فاغتنم أخي الحبيب ملايين من الحسنات تزف إليك بجملة واحدة تنطق بها، وهي:" اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ".

- وقد روىٰ عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أستغفرُ للمؤمنين والمؤمنات؟ قال: نعم، قد أمر النبي ﷺ بذلك، فإن ذلك الواجب علىٰ الناس، قال الله لنبيه ﷺ ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، قلت: أفتدع ذلك في المكتوبة أبدًا؟ قال: لا، قلت: فبمن تبدأ، بنفسك أم بالمؤمنين؟ قال: بل بنفسي، كما قال الله:﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: فالأمر الذي كان معروفًا بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة، فرضها ونفلها، من الصلاة، والصيام، والقراءة، والذكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك لأحيائهم

١- وأحذر أن تتعاظم حصول هذا الثواب الجزيل إذا شمل استغفارك بلايين المسلمين فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء، ورحمته وسعت كل شيء، وقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة، وقمنا معه، فقال أعرابي في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا! فلما سلم رسول الله ﷺ، قال للأعرابي:" لقد تحجرت واسعًا ". يريد: رحمة الله عز وجل.

وأمواتهم في صلاة الجنازة وعند زيارة القبور وغير ذلك، وروي عن طائفة من السلف: عند كل ختمة دعوة مستجابة، فإذا دعا الرجل عقيب الختم لنفسه ولوالديه ولمشائخه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات كان هذا من جنس المشروع، وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل وغير ذلك من مواطن الإجابة ". (مجموع الفتاوي:٢٤/ ٣٢٢)

- وقال تلميذه الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: والجميع مشتركون في الحاجة بل في الضرورة إلىٰ مغفرة الله وعفوه ورحمته، فكما يحب- أي المسلم- أن يستغفر له أخوه المسلم، كذلك هو أيضًا ينبغي أن يستغفر لأخيه المسلم، فيصير هجيراه: رب اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات، وقد كان بعض السلف يستحب لكل أحد أن يداوم علي هذا الدعاء كل يوم سبعين مرة، فيجعل له منه وردا لا يخل به. وسمعت شيخنا- أي ابن تيمية- يذكره، وذكر فيه فضلًا عظيمًا لا أحفظه، وربما كان من جملة أوراده التي لا يخل بها، وسمعته يقول: إن جعله بين السجدتين جائز، فإذا شهد العبد أن إخوانه مصابون بمثل ما أصيب به، محتاجون إلىٰ ما هو محتاج إليه لم يمتنع من مساعدتهم إلا لفرط جهله بمغفرة الله وفضله، وحقيق بهذا أن لا يساعد، فإن الجزاء من جنس العمل ". (مفتاح دار السعادة:٢/ ٢٩٨)

- وروىٰ البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن المبارك -رحمه الله-:" أنه كان إذا ختم القرآن أكثر دعاءه للمؤمنين والمؤمنات ".

- وقد روىٰ الإمام مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

" ما من عبدٍ مسلِمٍ يدعو لأخيه بظهْرِ الغيبِ، إلَّا قال الملَكُ: ولَكَ بمثلٍ ".

وفي رواية أخرىٰ في صحيح مسلم عن أبي الدرداء ﷺ:أن رسول الله ﷺ قال:" دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّما دَعَا لأَخِيهِ بخَيْرٍ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بهِ: آمِينَ وَلَكَ بمِثْلٍ ".

قال النووي -رحمه الله- في" شرحه علىٰ مسلم: ١٧/ ٩":" وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضًا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب ويحصل له مثلها[1]". (انظر فقه الاستغفار ص ٦٨-٧٢)

---

١ - مما يستأنس به هنا أن أحمد بن الضحاك الخشاب قال: رأيت فيما يرى النائم شريح بن يونس، فقلت: ما فعل بك ربك يا أبا الحارث؟ قال: غفر لي، ومع هذا جعل قصري إلى جنب قصر محمد بن بشير بن عطاء الكندي، فقلت: يا أبا الحارث أنت عندنا أكبر من محمد بن بشير، فقال: لا تقل ذاك، فإن الله جعل لمحمد بن بشير حظّا في عمل كل مؤمن ومؤمنة؛ لأنه كان إذا دعا قال: اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ". اهـ (حلية الأولياء :١٠/١١٣)

مسألة:

هل يجوز للشخص أن يطلب من شخص آخر يظن فيه الصلاح أن يستغفر له؟

كره ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-، وذهب إلي أن الإنسان يقصد الله تعالىٰ بدون الذهاب إلىٰ مخلوق لطلب الاستغفار له. والظاهر: أن هذا جائز، بل مشروع ومستحب، ودليل ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء:٦٤)

وقال إخوة يوسف -عليه السلام- لأبيهم: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (سورة يوسف:٩٧)

- وقد ثبت في الصحيحين أن عمر ﷺ قال للنبي ﷺ:" يا رسول الله! استغفر لي ".

- وقال عمر ﷺ لأويس القرني:" استغفر لي، فاستغفر له ".

- والحديث أخرجه الإمام مسلم من حديث أُسَيْرِ بن جابر قال:" كانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إذَا أَتَىٰ عليه أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ؟ حتَّىٰ أَتَىٰ علَىٰ أُوَيْسٍ فَقالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: مِن مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَكانَ بكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ منه إلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: لكَ وَالِدَةٌ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: يَأْتي علَيْكُم أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ مع أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ، مِن مُرَادٍ، ثُمَّ مِن قَرَنٍ، كانَ به بَرَصٌ فَبَرَأَ منه إلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، له وَالِدَةٌ هو بهَا بَرٌّ، لو أَقْسَمَ علَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لكَ فَافْعَلْ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ له. فَقالَ له عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: الكُوفَةَ، قالَ: أَلَا أَكْتُبُ لكَ إلىٰ عَامِلِهَا؟ قالَ: أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ

أَحَبُّ إِلَيَّ. قالَ: فَلَمَّا كانَ مِنَ العامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِن أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عن أُوَيْسٍ، قالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ، قَلِيلَ المَتَاعِ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: يَأْتي علَيْكُم أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ مع أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِن مُرَادٍ، ثُمَّ مِن قَرَنٍ، كانَ به بَرَصٌ فَبَرَأَ منه، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ له وَالِدَةٌ هو بها بَرٌّ، لو أَقْسَمَ علَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لكَ فَافْعَلْ، فأَتَىٰ أُوَيْسًا فَقالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ له، فَفَطِنَ له النَّاسُ، فَانْطَلَقَ علَىٰ وَجْهِهِ. قالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكانَ كُلَّما رَآهُ إِنْسَانٌ قالَ: مِن أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هذِه البُرْدَةُ!

فضل الاستغفار:

١ - اقتران الاستغفار بالتوحيد في كثير من الآيات والأحاديث، وكفىٰ بهذا فضلًا:

وهذا إن دل فإنما يدل علىٰ شرف وعلو مكانة الاستغفار؛ فإن الاستغفار يأتي في كثير من النصوص

مقترنًا بكلمة التوحيد التي هي أفضل الذكر، وهذا يدل علىٰ أهمية الاستغفار وفضله.

قال تعالىٰ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (سورة محمد:١٩)

وقال تعالىٰ: ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ (سورة هود:٢، ٣)

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (سورة فصلت:٦)

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ (سورة هود:٥٠ - ٥٢)

- وكقوله ﷺ في كفارة المجلس:" سبحانَكَ اللَّهُمَّ وبحَمدِكَ، أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا أنتَ، أستَغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ ".

- وكقوله ﷺ عقب الانتهاء من الوضوء:" أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، اللهمَّ اجعلْني من التوابين واجعلْني من المتطهرين ".

(رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي:٤٨)

- وكقوله ﷺ في دعائه الذي يختم به الصلاة:" اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسرَرْتُ وما أعلَنْتُ، وما أنت أعلَمُ به مِنِّي، أنت

المقَدِّمُ، وأنت المؤَخِّرُ، لا إلهَ إلَّا أنت ". (رواه الإمام مسلم من حديث عليٍّ ﷺ)

- و قد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه:" يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعَوتَني ورجَوتَني غفَرتُ لَكَ علىٰ ما كانَ منكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغَت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقِرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً ". (الصحيحة:١٢٧)

- وأخرج أبو داود والترمذي عن زيد مولىٰ رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من قال: أَسْتَغْفِرُ الله الذي لا إله إلا هو الحَيُّ القيَّومُ وأتوب إليه، غُفرت ذنوبه، وإن كان قد فَرَّ من الزَّحْف". (صحيح الترمذي:٢٨٣١) (صحيح أبي داود:١٣٤٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- كما في مجموع الفتاوىٰ:١١/ ٦٩٦":" وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا إله إلا الله من أولهم إلىٰ آخرهم ومن آخرهم إلىٰ أولهم ومن الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم وهم فيها درجات عند الله ولكل عامل مقام معلوم، فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده أوله وآخره ؛ سره وعلانيته وتأتي علىٰ جميع صفاته وخفاياه ودقائقه، والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه فأبلغ الثناء قول:لا إله إلا الله وأبلغ الدعاء قول:أستغفر الله، فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين ". اهـ

- **ومما يدلك علىٰ فضل الاستغفار لأهل التوحيد: أن الله تعالىٰ حرم الاستغفار للمشركين:**

وهذا إن دل فإنما يدل علىٰ فضل الاستغفار، وأن المسلم ينتفع بدعوه أخيه، واستغفاره له، بخلاف الكافر أو المشرك فإنه يحرم هذا الفضل وتلك الشفاعة.

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (سورة التوبة:١١٣)

وقال تعالىٰ: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (سورة التوبة:٨٤)

قال الإمام النووي-رحمه الله- في" كتابه المجموع:٥/ ١٤٤":" الصلاة علىٰ الكافر، والدعاء له بالمغفرة حرام، بنص القرآن والإجماع ". اهـ

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: زار رَسولُ اللهِ ﷺ قَبْرَ أُمِّه، فبَكىٰ وأبْكىٰ مَن حَولَه، ثمَّ قالَ: استَأذَنتُ رَبِّي أن أزورَ قَبْرها فأذِنَ لي، واستَأذَنتُه أن أستَغفِرَ لها فلم يُؤذَنْ لي، فزُوروا القبور؛ فإنَّها تُذَكِّرُ المَوتَ ".

شبهة والرد عليها:

يقولون: أنتم تقولون إنه لا ينبغي أن يُستغفر لكافر أو مشرك في حين أن هناك آيات وأحاديث تدل علىٰ خلاف ذلك، ومنها علىٰ سبيل المثال:

أ- استغفار الملائكة لمن في الأرض جميعًا وهذا يشمل جميع البشر بما فيهم الكافر.

قال تعالىٰ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الشورىٰ:٥)

والرد علىٰ هذه الشبهة؛ يقول القاضي أبو محمد-رحمه الله-: وقال السدي ما معناه: إنَّ ظاهر هذه الآية العموم، ومعناها الخصوص في المؤمنين، فكأنه تعالىٰ قال: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين، إذ الكفار عليهم لعنة الله تعالىٰ والملائكة والناس أجمعين، **وقالت فرقة**: بل هي علىٰ عمومها، لكن استغفار الملائكة ليس بطلب غفران الله تعالىٰ للكفرة علىٰ أن يبقوا كفرة، وإنما استغفارهم لهم بمعنىٰ طلب الهداية التي تؤدي إلىٰ الغفران لهم، وكأن الملائكة تقول: اللهم اهد أهل الأرض واغفر لهم، ويؤيد هذا التأويل تأكيده صفة الغفران والرحمة لنفسه بالاستفتاح، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: لمَّا كان الاستغفار لجميع من في الأرض يبعد أن يجابَ، رجَّىٰ عز وجل بأن استفتح الكلام تهيئة لنفس السامع، فقال تعالىٰ: أَلَا إنَّ الله تعالىٰ يطلب هذا منه إذْ هذه أوصافه، وهو سبحانه أهل المغفرة". **(المحرر الوجيز:٥/ ١٧٩)**

- **وقيل**: إذا قلنا بعموم قوله: ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يكون معنىٰ الاستغفار لهم: طلب الرزق لهم، والسَّعة عليهم، أو طلب الحِلم والغفران بأن لا يعاجلهم بالانتقام، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾؛ أي: حِلم ﴿لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ **(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٥/ ١٦)**
- **ويقولون كذلك**: أن النبي ﷺ دعا لقومه بالمغفرة: **كما جاء في الحديث الذىٰ أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال:" كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأَدْمَوْهُ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ "**.

قال أبو حاتم -رحمه الله-:" يعني هذا الدعاء أنه قاله يوم أُحد لما شُجَّ[1] وجهه قال:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي" ذنبهم بي من الشجِّ، لا أنه دعاء للكفار بالمغفرة[2] ". (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان:٣/ ٢٥٥)

وربما يحتج آخر ويقول إن إبراهيم ﷺ استغفر لأبيه حين قال: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (سورة الشعراء:٨٦)

والجواب: أن ابراهيم ﷺ إنما قال مقالته: ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ لوعد كان قد وعد به أباه من قبل حيث قال له: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (سورة مريم:٤٧)

وأيضًا فإن الله تعالىٰ قال:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ (سورة الممتحنة:٤)

أي: فلا تتأسوا بإبراهيم ﷺ في مقالته لأبيه المشرك وقد قال النبي ﷺ في شأن أمه:" اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَها فأذِنَ لِي ". (رواه مسلم)

١- الشجُّ: في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحَه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء، كما في" النهاية:٢/٤٤٥".

٢- (انظر فقه الاستغفار- للشيخ محمد إسماعيل المقدم- حفظه الله- ص١٥-٢١)

٢- الاستغفار سبب لدفع المصائب ورفع البلايا:

فالمصائب في كثير من الأحيان سببها الذنوب والمعاصي، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (سورة الشوري:٣٠)

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (سورة الشوري:٣٠)

وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (سورة البقرة:٥٩)

فالمصيبة تنزل في كثير من الأحيان بذنب، فإذا أحدث العبد استغفارًا وتوبة نصوحًا من هذا الذنب ترتفع المصيبة بإذن الله.

- قد رُوي عن بعض السلف أنه قال:" ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة ".

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (سورة الأنفال:٣٣)

٣- طوبىٰ لأهل الاستغفار:

- أخرج ابن ماجه البيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن بسر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" طوبَىٰ لِمَن وجَدَ في صَحيفَتِه استِغفارًا كثيرًا ". (صحيح ابن ماجه:٣٠٧٨) (صحيح الجامع:٣٩٣٠)

- وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" طوبىٰ شجرةٌ في الجنَّةِ، مسيرةُ مائَةِ عامٍ، ثيابُ أهلِ الجنةِ تخرجُ مِنْ أكْمامِها ". (الصحيحة:١٩٨٥)

٤- الاستغفار ملجأ يفزع إليه المؤمنون عند رؤية الآيات الكونية التي يخوف الله بها عباده:

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقامَ النبيُّ ﷺ فَزِعًا، يَخْشَىٰ أنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فأتَىٰ المَسْجِدَ، فَصَلَّىٰ بأَطْوَلِ قِيامٍ ورُكُوعٍ وسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وقالَ: هذِه الآياتُ الَّتي يُرْسِلُ اللهُ، لا تَكُونُ لِمَوْتِ أحَدٍ ولا لِحَياتِهِ، ولَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ به عِبادَهُ، فإذا رَأَيْتُمْ شيئًا مِن ذلكَ، فافْزَعُوا إلىٰ ذِكْرِهِ ودُعائِهِ واسْتِغْفارِهِ ".

وفي رواية: خَسَفَتِ الشَّمْسُ في زَمَنِ النبيِّ ﷺ، فَقَامَ فَزِعًا يَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ حتَّىٰ أَتَىٰ

المَسْجِدَ، فَقَامَ يُصَلِّي بأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ، ما رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ في صَلَاةٍ قَطُّ، ثُمَّ قالَ:إنَّ هذِه الآيَاتِ الَّتي يُرْسِلُ اللهُ لا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ يُرْسِلُهَا، يُخَوِّفُ بهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ منها شيئًا، فَافْزَعُوا إلىٰ ذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ. وفي رِوَايَةِ ابْنِ العَلَاءِ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَقالَ: يُخَوِّفُ عِبَادَهُ "

٥- الاستغفار سبب لسعة الرزق وكثرة النسل ونزول الغيث من السماء:

قال تعالىٰ حكاية عن نوح -عليه السلام-: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ (سورة نوح:١٠ - ١٢)

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره:٨/ ٢٦٠" معلقًا علىٰ هذه الآيات من سورة نوح:

" أي: إذا تبتم إلىٰ الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدَرَّ لكم الضَّرْعَ، وأمدكم بأموال وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها ".

اهـ

وفي هذا دلالة علىٰ عظم فوائد الاستغفار وكثرة خيراته وتعدد ثمراته.

وقد ذكر البخاري رحمه الله في كتاب" الدعوات" باب" أفضل الاستغفار"- وذكر الآيات السابقة-.

فقال الحافظ في" الفتح: ١٤/ "٢٨١" معلقًا:" وكأن المصنف لَمَّح بذكر هذه الآية إلىٰ أثر الحسن البصري: إن رجلًا شكا إليه الجدب فقال: استغفرِ الله، وشكا إليه آخر الفقر، فقال: استغفر الله،

وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر عدم الولد، فقال: استغفر الله، ثم تلا عليهم الآية السابقة ".

ثم قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: وفي الآية حث علىٰ الاستغفار، وإشارة إلىٰ وقوع المغفرة لمن استغفر، وإلىٰ ذلك أشار الشاعر بقوله:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من جود كفيك ما علمتني الطلبا. اهـ

وقد استدل الفقهاء بهذا النص القرآني الكريم علىٰ مشروعية صلاة الاستسقاء، واستحبوا أن يكثر الإمام من الاستغفار ومن تلاوة قوله تعالىٰ: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ (سورة نوح:١٠ - ١٢)

- وقد أخرج البيهقي بسند فيه مقال عن الشعبي قال: خرج عمر يستسقي، فلم يزد علىٰ الاستغفار، فقالوا: ما رأيناك استسقيت ! فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح[1] السماء الذي يستنزل به المطر، ثم قرأ: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ (سورة نوح:١٠ - ١٢)

١- المجاديح عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار مُشَبَّها بالأنواء، مخاطبة لهم بما يعرفونه، لا قولا بالأنواء، (انظر النهاية:١/٢٤٣).

وقفة: وهذه الثمرات المذكورة هنا هي مِمَّا يناله العبد في دنياه من الخيرات العميمة والعطايا الكريمة والثمرات المتنوعة، وأما ما يناله المستغفرون يوم القيامة من الثواب الجزيل والأجر العظيمِ والرحمة والمغفرة والعتق من النار والسلامة من العذاب، فأمر لا يُحصيه إلا الله تعالىٰ.

٦- الاستغفار سبب لحصول القوة في البدن وسعة الرزق:

قال هود -عليه السلام- لقومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ **(سورة هود:٥٢)**

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ **(سورة هود:٣)**

قال السعدىٰ- رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية:

وقوله: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) عن ما صدر منكم من الذنوب (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) فيما تستقبلوه من أعماركم، بالرجوع إليه، بالإنابة والرجوع، عما يكرهه الله إلىٰ ما يحبه ويرضاه، ثم ذكر ما يترتب علىٰ الاستغفار والتوبة فقال: (يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا) أي يعطيكم من رزقه، ما تتمتعون به، وتنتفعون (إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ) أي: إلىٰ وقت وفاتكم (وَيُؤْتِ) منكم (كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) أي يعطي أهل الإحسان والبر من فضله وبره، ما هو جزاء لإحسانهم، من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهونه. اهـ

ورُوي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: " من لزم الاستغفار جعل اللهُ له من كلِّ ضيقٍ مخرجًا، ومن كلِّ همٍّ فرجًا، ورزقَه من حيث لا يحتسب ".

(رواه ابو داود والنسائي في عمل اليوم والليلة بسند ضعيف) (انظر السلسة الضعيفة:٧٥) (وضعفه

البغوي في شرح السنة:٥/ ٧٩)

٧- الاستغفار سبب لسلامة القلب وصفائه ونقائه:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إن العبدَ إذا أخطأ خطيئةً نُكتتْ[1] في قلبِه نُكْتَةٌ سوداءُ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقُل قلبُه، وإن عاد زِيدَ فيها، حتىٰ تَعلوَ قلبَه، وهو الرَّانُ[2] الذي ذكر اللهُ:﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة المطففين:١٤) (صحيح الجامع:١٦٧٠) (صحيح الترمذي:٢٦٥٤)

- وفيٰ رواية:" إنَّ المؤمنَ إذا أذنبَ كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبِه فإن تاب ونزع واستغفرَ صقلَ قلبُه فإن زاد زادت فذلك الرَّانُ الذي ذكرَه اللهُ في كتابِه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوْا يَكْسِبُونَ﴾".

وهنا نتذكر قول النبي ﷺ وقد مر بنا:" إنَّهُ ليُغانُ علىٰ قلبي وإنِّي لأستغفرُ اللهَ في اليومِ سبعينَ مرَّةً" (صحيح مسلم)

٨- من أحب أن تسره صحيفته يوم القيامة فليكثر من الاستغفار:

فقد أخرج البيهقي في الشعب والضياء في المختارة من حديث الزبير بن العوام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من أحبَّ أن تسُرَّه صحيفته[3] فليكثِرْ من الاستغفار ".

(صحيح الجامع:٥٩٥٥) (الصحيحة:٢٢٩٩) (صحيح الترغيب والترهيب:١٦١٩)

٩- الاستغفار صدقة تتصدق بها علىٰ نفسك:

أخرج الإمام مسلم من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَىٰ سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فمَن كَبَّرَ اللهَ، وحَمِدَ اللهَ، وهَلَّلَ اللهَ، وسَبَّحَ اللهَ،

---

١ - النَّكت: الأثر في الشيء.

٢- الرانُ: ران على قلبه؛ أي: غطى، وقيل: غلب.

٣ - من أحبَّ أن تسُرَّه صحيفته: يعني عند الاطلاع عليها في يوم الحساب. (تحفة الذاكرين ص ٣٩٢)

واسْتَغْفَرَ اللهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، وأَمَرَ بِمَعروفٍ، أوْ نَهَىٰ عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَىٰ- فإنَّه يَمْشِي[1] يَومَئِذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ ".

فالذنوب تترك آثارًا سيئة وسوادًا علىٰ القلب، والاستغفار يمحو الذنب وأثره، ويزيل ما قد علق بالقلب من سواد، وما قد ران عليه من الذنوب.

١٠- الاستغفار سبيل لنيل رحمة الله تعالىٰ:

قال نبي الله صالح -عليه السلام- لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل:٤٦)

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره:٦ / ١٩٢عند هذه الآية ":" وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قال مجاهد:" بالعذاب قبل الرحمة[2]، المعنىٰ لما تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب، فكان الكفار يقولون لفرط الإنكار: ايتنا بالعذاب، وقيل: أي لم تفعلون ما تستحقون به العقاب، لا أنهم التمسوا تعجيل العذاب ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ﴾ أي هلا تتوبون إلىٰ الله من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي ترحموا ". اهـ

١- قال أبو قلابة: وربما قال:" يمسي ".

٢- ورواه الطبري في تفسيره:" جامع البيان ١٩ / ١٠٧".

www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١١- الاستغفار عقب الطاعات للخوف من التقصير في حق العبودية، ولجبر النقص الذى ربما يقع في الطاعة:

وقد أمر الله تعالىٰ وفده وحجاج بيته، بأن يستغفروا عقيب إفاضتهم من عرفات، وهو أجلُّ المواقف وأفضلها، **فقال تعالىٰ:** ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ **(سورة البقرة:١٩٨، ١٩٩)**

وقال تعالىٰ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ **(سورة آل عمران:١٧)**

قال الحسن-رحمه الله-:" مَدُّوا الصلاة إلىٰ السحر، ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل".

وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا سلَّم من الصلاة استغفر ثلاثًا، ثم قال:" اللهمَّ أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تبارَكْتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ ".

وأمره الله تعالىٰ بالاستغفار بعد أداء الرسالة والقيام بما عليه من أعبائها وقضاء فرض الحج، واقتراب أجله، فقال في آخر سورة أنزلت عليه: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا(٢) فَسَبِّحْ بحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إِنَّه كانَ تَوَّابًا﴾ **(سورة النصر:١-٣)**

ومن ها هنا فهم عمر وابن عباس -رضي الله عنهم- أن هذا أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه به، فأمره أن

يستغفره عَقيب أداء ما كان عليه، فكأنه إعلام بأنك قد أديت ما عليك، ولم يبق عليك شيء، فاجعل خاتمته الاستغفار، كما كان خاتمة الصلاة، والحج، وقيام الليل، وخاتمة الوضوء أيضًا أن يقول بعد فراغه:" سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، لا إلهَ إلَّا أنتَ أستغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ، اللَّهُمَّ اجعَلني منَ التَّوَّابينَ واجعلني من المتطَهِّرينَ ".

فهذا شأن من عرف ما ينبغي لله ويليق بجلاله من حقوق العبودية وشرائطها، لا جهل أصحاب الدعاوي وشطحاتهم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارًا عقيب الطاعات، لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر، لما أقدم أحدهم علىٰ مثل هذه العبودية، ولا رضيها لسيِّده ". اهـ

١٢- الاستغفار سبب لمغفرة الذنوب:

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٣٥، ١٣٦)

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء:٦٤)

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المزمل:٢٠)

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة

النساء:١١٠)

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-:" أخبر الله عباده بحلمه، وعفوه وكرمه، وسعة رحمته، ومغفرته، فمن أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم استغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا، ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال ". **(تفسير الطبري:٧/ ٤٧٦)**

وقال شعيب -عليه السلام- لقومه:﴿ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ **(سورة هود:٩٠)**

- أخرج أبو داود والترمذي عن زيد ﷺ مولىٰ النبي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" من قال: أستغفِرُ اللهَ، الذي لا إله إلا هو، الحَيَّ القيومَ، وأتوبُ إليه؛ غُفِرَ له وإن كان فَرَّ من الزَّحْفِ ".

(صحيح أبي داود:١٣٤٣) (صحيح الترمذي:٢٨٣١)

قال الشوكاني -رحمه الله-:" وفي الحديث دليل علىٰ أن الاستغفار يمحو الذنوب سواء كانت كبائر أو صغائر، فإن الفرار من الزحف من الكبائر بلا خلاف ". **(تحفة الذاكرين ص٥٣٢)**

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ الله تَبارَكَ وَتَعالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ فَقالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ". أي: ما دمت تائبًا أواها منيبًا.

- وفي رواية: إنَّ عَبْدًا أذْنَبَ ذَنْبًا، فقالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ ذنبًا فاغْفِرْ لِي، فقالَ رَبُّهُ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللهُ ثُمَّ أذْنَبَ ذَنْبًا، فقالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ آخَرَ، فاغْفِرْهُ فقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ أذْنَبَ ذَنْبًا، قالَ: قالَ: رَبِّ أذْنَبْتُ آخَرَ، فاغْفِرْهُ لِي، فقالَ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذُ بهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثًا، فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ ".

لأنه كلما عمل معصية استغفر منها استغفارًا صحيحًا، وتاب بشروط التوبة الصحيحة.

قال المنذري-رحمه الله-:" وفي قوله: (فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ) معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنبًا استغفر الله وتاب منه، ولم يعد إليه بدليل قوله: ثم أذنب ذنبًا آخر، فليفعل إذا كان هذا دأبه ما شاء، لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره، لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه توبة الكاذبين ". اهـ

- وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرك من حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ أنَّ رَجُلًا أتىٰ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أحَدُنا يُذنِبُ، قالَ: يُكتَبُ عليهِ، قالَ: ثمَّ يَستغْفِرُ منه ويَتوبُ؟ قالَ: يُغفَرُ له ويُتابُ عليه، قالَ: فيَعودُ فيُذْنِبُ؟ قالَ: يُكْتَبُ عليهِ، ولا يَمَلُّ اللهُ حتَّىٰ تَمَلُّوا ". (قال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن)

فهذه توبة مقبولة وإن تكرر الذنب، فإنه كلما كرر العبد التوبة مستوفيًا شروطها قُبلت منه، أما الاستغفار بدون توبة فلا يستلزم المغفرة، بل هو سبب من الأسباب التي تُرجي بها المغفرة.

- وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبيد بن عمر في قوله تعالىٰ:﴿ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ (سورة الإسراء:٢٥) قال:" هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب ".

- وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن الشيطانَ قال: وعزَّتِكَ يا ربِّ، لا أَبرَحُ أُغوي عِبادَكَ ما دامتْ أَرْواحُهم في أَجْسادِهم، قال الرَّبُّ: وعزَّتي وجَلالي، لا أَزالُ أَغفِرُ لهم ما استَغْفَروني ". (الصحيحة:١٠٤) (صحيح الجامع:١٦٥٠)

- وأخرج البيهقي عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال لها - في حادثة الإفك:"... إن كُنْتِ أَلْمَمْتِ بذَنْبٍ، فاستغفِري اللهَ، وتُوبِي إليه؛ فإنَّ التَّوبةَ مِن الذَّنْبِ النَّدَمُ والاستغفار ".

(صحيح الجامع:١٤٣٣) (الصحيحة:١٢٠٨)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبو ذر الغفاري ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: اللهِ تَعَالَىٰ: " يا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ....الحديث".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَىٰ كُلَّ لَيْلةٍ إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟

وأخرج أبو داود الترمذي والنسائي عن أمير المؤمنين عليّ ﷺ أنه أُتِيَ بدابَّةٍ ليَرْكبَها فلمَّا وضعَ رِجلَه في الرِّكابِ قالَ: بسمِ اللهِ، فلمَّا استوىٰ علىٰ ظَهرِها قالَ: الحمدُ للهِ، ثمَّ قالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ثمَّ قالَ: الحمدُ للهِ - ثلاثَ مرَّاتٍ - ثمَّ قالَ: اللهُ أكبرُ - ثلاثَ مرَّاتٍ - ثمَّ قالَ:" سبحانَك إنِّي ظلمتُ نفسِي فاغفِر لي فإنَّهُ لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ، ثمَّ ضحِك، فقيلَ يا أميرَ المؤمنينَ من أيِّ شيءٍ ضحِكتَ؟ قالَ: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ فعلَ كما فعَلتُ ثمَّ ضحِك، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! من أيِّ شيءٍ ضحِكتَ؟ قالَ:" إنَّ ربَّكَ يعجَبُ من عبدِه إذا قالَ: اغفِر لي ذنوبي، يعلَمُ أنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ غيري ". (صحيح أبي داود: ٢٦٠٢)

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالىٰ:" يا بنَ آدَمَ إِنَّك ما دعَوْتَنِي ورَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لك علىٰ ما كان فيك ولا أبالي، يا بن آدم لَوْ بَلَغَتْ ذُنوبُكَ عَنَانَ السماء[1]، ثم اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لك ولا أُبالي[1]، يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ[1]

١- عنان السماء : بفتح العين – هو السحاب.

خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَة ". (صحيح الترمذي:٣٥٤٠) (صحيح الترغيب:١٦١٦)

وقد تضمن هذا الحديث ثلاثة أسباب من أعظم أسباب المغفرة وهي: الدعاء مع الرجاء، والاستغفار، والتوحيد.

الأول: الدعاء مع الرجاء: ويظهر من قوله تعالىٰ:" **يا بنَ آدَمَ إِنَّك ما دعَوْتَنِي ورَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لك علىٰ ما كان فيك ولا أبالي** ". فإن الدعاء مأمور به، موعود عليه بالإجابة كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠) فالدعـاء سبب مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه وقد تتخلف الإجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه ومن أعظم شرائطه حضور القلب، ورجاء الإجابة من الله تعالىٰ، فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب دنبًا لم يرج مغفرته من غير ربه، ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره فقوله: إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالىٰ، يعنىٰ علىٰ كثرة ذنوبك وخطاياك ولا يتعاظمني ذلك ولا أستكثره، **وفي الصحيح عن النبي** ﷺ **قال:**" **إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء**". (رواه مسلم)

فذنوب العباد وإن عظمت عفو الله ومغفرته أعظم منها، **كما قال الإمام الشافعي عند موته:**

وَلَمَّا قَسا قَلبي وَضَاقَت مذاهبي جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّىٰ لَعَفُوكَ سُلَّما

---

١ - يعني: على كثرة ذنوبك وخطاياك، ولا يتعاظمني ذلك، ولا أستكثره، وقد روى الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:" إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء ". قال الشاعر: يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

أعظم الأشياء في جنب عفو الله يصغر

٢- قراب الأرض : بضم القاف - هو ما يقرب من ملئها.

تَعَاظَمَنِيْ ذَنْـــبِي فَلَمـــا قرنتـــه بعفوك ربي كان عفوك أعظم

الثاني: الاستغفار؛ ويظهر في قوله تعالىٰ:" **يا بن آدم لَوْ بَلَغَتْ ذُنوبُكَ عَنَانَ السماء، ثم اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لك ولا أُبالي**. فلو عظمت الذنوب وبلغت من الكثرة عنان السماء وهو السحاب، وقيل: ما انتهي إليه البصر منها، ثم استغفر العبد ربه عز جل فإن الله يغفرها له. **قال تعالىٰ**: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (النساء: ١١٠)

الثالث: التوحيد، ويظهر في قوله تعالىٰ:" **يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَة** ". والتوحيد هو السبب الأعظم للمغفرة، فمن أتىٰ به فقد أتىٰ بأعظم أسباب المغفرة، ومن فقده فقد حرم المغفرة. **قال الله تعالىٰ**: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يشَاءُ**﴾(النساء:٤٨)

قال ابن القيم –رحمه الله– في معنىٰ قوله: **يا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَة** ". يُعفىٰ لأهل التوحيد المحض الذىٰ لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفىٰ لمن ليس كذلك فلو لقىٰ الموحد الذىٰ لم يشرك بالله البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقىٰ معه ذنب لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضةٌ والدافع لها قوىٰ. ومعنىٰ" قُرَاب الأرض" ملؤها أو ما يقارب ذلك، ولكن هذا مع مشيئة الله عز وجل فإن شاء غفر بفضله ورحمته، وإن شاء عذب بعدله وحكمته، وهو المحمود علىٰ كل حال ". اهـ

قال بعضهم:" الموحد لا يلقىٰ في النار كما يلقىٰ الكفار، ولا يبقىٰ فيها كما يبقىٰ الكفار. فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوىٰ الله محبة وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة وخشية ورجاء وتوكلًا وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضعت ذرة منه علىٰ جبال الذنوب والخطايا لقلبتها حسنات ".

وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عليّ ﷺ قال:" كنتُ رجلًا إذا سَمِعْتُ من رسولِ اللهِ ﷺ حديثًا نفعَني اللهُ منهُ بما شاءَ أن ينفعَني، وإذا حدَّثَني أحدٌ من أصحابِهِ استَحلفتُهُ، فإذا حلَفَ لي صدَّقتُهُ، قالَ: وحدَّثَني أبو بَكْرٍ وصدقَ أبو بَكْرٍ ﷺ، أنَّهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:" ما مِن عبدٍ يذنبُ ذنبًا، فيُحسنُ الطُّهورَ، ثمَّ يقومُ فيُصلِّي رَكْعتينِ، ثمَّ يستغفِرُ اللهَ، إلَّا غفرَ اللهُ لَهُ، ثمَّ قرأَ هذِهِ الآيةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥)

(صحيح أبي داود: ١٣٤٦) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢١)

- وفي رواية:" ما مِن رجلٍ يُذْنِبُ ذنبًا، فيتَوضَّأُ فيُحسِنُ الوُضوءَ ثمَّ يُصلِّي رَكعَتينِ، فيستغفرُ اللهَ عزَّ وجلَّ إلَّا غفرَ لهُ ". (صحيح الجامع: ٥٧٣٨)

وقفة مع قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٥)

جاء في" تفسير ابن المنذر-رحمه الله-":" أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا مجتمعين عند

ابن مسعود ﷺ فتذاكروا بني إسرائيل وما أعطاهم الله من فضائل، فقال عبد الله بن مسعود:" كان الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنبًا كُتِبَ ذنبه على باب داره، وكُتِبَ معه كفارة ذلك ليغفر ذلك الذنب، أما أنتم- يقصد أمة النبي ﷺ- فجعل الله مغفرة ذنوبكم قول تقولونه بألسنتكم، ثم تلا قول الحق: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(آل عمران:١٣٥-١٣٦)، فقال ابن مسعود ﷺ: والله ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ".

فالأمة المحمدية بكرامتها الله تعالىٰ جعل توبتها قول باللسان، وعزم بالقلب علىٰ الإقلاع، فتوبة هذه الأمة أسهل تناولًا، وأسرع قبولًا.

١٣- الاستغفار سبيل للنجاة من عذاب الله:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)

فالله تعالىٰ لا يعذب مستغفرًا.

فقد أخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو-رضي الله عنهما- قالَ:" انكسفتِ الشَّمسُ علىٰ عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فلم يكَدْ يركعُ ثمَّ ركعَ، فلم يكَدْ يرفَعُ ثمَّ رفعَ، فلم يكد يسجدُ ثمَّ سجدَ، فلم يكد يرفعُ ثمَّ رفعَ، فلم يكَد يسجُدُ ثمَّ سجدَ، فلم يكَد يرفعُ ثمَّ رفعَ، وفعلَ في الرَّكعةِ الأخرىٰ مثلَ ذلكَ[1]، ثمَّ نفخَ في آخِرِ سجودِهِ فقالَ:" أُفْ أُفْ[2] "، ثمَّ قالَ:" ربِّ

١- وذكر في روايات أخرى لكن بذكر الركوع مرتين.

٢- نفخ النبي ﷺ في سجوده في الكسوف أخرجه البخاري معلقاً بصيغة التضعيف.

ألم تعِدْني أن لا تعذِّبَهُم وأنا فيهم، ألم تعِدْني أن لا تعذِّبَهُم وهم يستغفِرونَ، ففرغَ رسولُ اللهِ ﷺ من صلاتِهِ وقد أمْحَصَتِ الشَّمسُ[1] ". (صحيح أبي داود: ١٠٥٥)

وأخرج الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ﷺ قال:" كان فيكم أمانانِ، مَضَتْ إحداهما، وبَقيَتِ الأُخرىٰ، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣). (قال شعيب الأرناؤوط: صحيح)

وفي هذا الأثر يُبيِّنُ أبو هريرة ﷺ سُبُلَ النجاةِ للناسِ منَ العَذابِ، فيقولُ:" كان فيكم أمانانِ"، وهما سَببانِ يَحْميانِ الأُمَّةَ منَ الوُقوعِ في الفِتَنِ والشرورِ، والوُقوعِ في غضَبِ اللهِ، ودائمًا يكونا مَلاذًا لصاحِبِهما، "مضَتْ إحْداهما وبَقيَتِ الأُخرىٰ، وهما مَجْموعانِ في قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)، والمَعنىٰ: ما يمَنَعُ عذابَ الناسِ علىٰ العُمومِ عذابَ استِئْصالٍ إلَّا وجودُ أمرَيْنِ، وهما:

وجودُ النبيِّ ﷺ علىٰ قَيدِ الحَياةِ، والثاني استغفارُ المُؤمِنينَ لذُنوبِهم، واستِغفارُهم لغيرِهم، فلمَّا تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ جاءتِ الفِتَنُ، وعظُمَتِ المِحَنُ، وظهَرَ الكُفرُ والنِّفاقُ، وكثُرَ الخِلافُ والشقاقُ، وبَقيَ للناسِ الاستغفار وطلَبُ العَفوِ والمَغفرةِ منَ اللهِ؛ فهو الأمانُ الآخَرُ لمَن أرادَ النجاةَ منَ العذابِ، وهو الأمانُ لكلِّ الناسِ من الاستِئْصالِ بالعذابِ، وهذا يدُلُّ علىٰ أهميَّةِ الاستغفار، والتوَجُّهِ إلىٰ اللهِ سُبحانَه به.

وأخْرَجَ الإمام أحْمَدُ عَنْ فَضالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ:" العَبْدُ آمِنٌ مِن عَذابِ اللهِ[1] ما اسْتَغْفَرَ اللهَ ". (الدر المنثور لجلال الدين السيوطي)

١- أمحصت الشمس: أي ظهرت من الكسوف وانجلت، كانمحصت، وأصل المَحْص: التخليص. (النهاية:٤/ ٣٠٢).

ومر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَىٰ سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فمَن كَبَّرَ اللهَ، وحَمِدَ اللهَ، وهَلَّلَ اللهَ، وسَبَّحَ اللهَ، واسْتَغْفَرَ اللهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، وأَمَرَ بِمَعروفٍ، أوْ نَهَىٰ عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَىٰ -فإنَّه يَمْشِي[٢] يَومَئِذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" يا مَعْشَرَ النِّساءِ، تَصَدَّقْنَ وأَكْثِرْنَ الاستغفار، فإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ فَقالتِ امْرَأَةٌ منهنَّ جَزْلَةٌ[٣]: وما لنا يا رَسولَ اللهِ، أكْثَرُ أهْلِ النَّارِ؟ قالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وما رَأَيْتُ مِن ناقِصاتِ عَقْلٍ ودِينٍ أغْلَبَ لِذِي لُبٍّ[٤] مِنْكُنَّ قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، وما نُقْصانُ العَقْلِ والدِّينِ؟ قالَ: أمَّا نُقْصانُ العَقْلِ: فَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهادَةَ رَجُلٍ فَهذا نُقْصانُ العَقْلِ، وتَمْكُثُ اللَّيالِيَ ما تُصَلِّي، وتُفْطِرُ في رَمَضانَ فَهذا نُقْصانُ الدِّينِ.

الشاهد قول النبي ﷺ:" تَصَدَّقْنَ وأَكْثِرْنَ الاستغفار، فإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ ". ففي هذا دليل

علىٰ أن الصدقة، وكثرة الاستغفار؛ وقاية من النار ومن عذاب الله.

١٤- الاستغفار سبب لدخول الجنة:

ذكر رب العالمين في كتابه الكريم أن الجنة مآل أهل التقوىٰ والإيمان، لهم فيها ما يشتهون.

١- وعذاب الله يشمل الظاهر منه والباطن، ما كان منه في الآخرة، وما كان منه في الدنيا، مثل إذاقة الناس بعضهم بأس بعض، وغير ذلك مما يقع وقت الفرقة والفتن.

٢ - قال أبو توبة : وربما قال :" يمسي ".

٣ - جزلةٌ : ذات عقل ورأي.

٤ - اللب : العقل، والمراد هنا كمال العقل.

فقال تعالىٰ: ﴿... لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم ذكر أوصافهم فقال تعالىٰ: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ (آل عمران:١٥-١٧)

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أَوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣ – ١٣٦)

وأخرج البخاري من حديث شداد بن أوس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: " سَيِّدُ الاستغفار[1] أَن يَقُول العبْدُ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إله إلَّا أنتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبوء بذنبي، فاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ". من قالها من النَّهارِ مُوقِنًا بها، فمات من يومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، فَهُوَ مِنْ أهلِ الجنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ الليل وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ ".

١٥- الاستغفار سبب لرفع الدرجات:

فقد أخرج ابن ماجه بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ الرَّجلَ لتُرفَعُ درجتُه في الجنةِ فيقولُ: أنَّىٰ هذا؟ فيقالُ: باستغفارِ ولدِك لكَ ".

مِن رحمةِ اللهِ سبحانه وفضْلِه أن جعَلَ أسبابًا كثيرةً لرَفْعِ الدَّرَجاتِ وغُفرانِ الذُّنوبِ، ومِن ذلك أنَّه جعَل استِغفارَ الولَدِ لوالِدَيهِ سببًا لرَفْعِ درَجتِهما في الجنَّةِ.

١- السيد هو الذي يفوق في الخير قومه، ويرتفع عليهم، وإنما استحق هذا الدعاء وصف "السيد" لأنه فاضل، والفاضل سيد المفضول، وهذا الدعاء قد فاق سائر صيغ الاستغفار في الفضيلة، وارتفع عليها، (انظر نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار" للعلامة السفاريني- وانظر أيضًا مدارج السالكين :١/ ٢٢٢).

من صيغ الاستغفار[1]:

أولا: من صيغ الاستغفار في القرآن الكريم:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥).

وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٢٨٦)

وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٦).

وقال تعالىٰ: ﴿ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٧)

وقال تعالىٰ: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ﴾ (آل عمران:١٩٣)

وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣)

وقال تعالىٰ: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:١٤٩)

وقال تعالىٰ عن موسىٰ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف:١٥١)

وقال تعالىٰ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (الأعراف:١٥٥)

وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم:٤١)

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون:١٠٩).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون:١١٨)

١- استفدت كثيرًا من كتاب "عذب الأمواه" لفضيلة الشيخ الدكتور / سيد بن حسين العفاني حفظه الله.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص: ١٦).

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء:٨٢)

وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر:٧)

وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر:١٠)

وقال تعالىٰ:﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الممتحنة:٥)

وقال تعالىٰ:﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم:٨)

وقال تعالىٰ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (نوح:٢٨)

ثانيا: من صيغ الاستغفار في السنة:

هناك من صيغ الاستغفار المطلقة والتي ليس لها وقت محدد، ولا مكان مخصوص، وهناك من صيغ الاستغفار المقيدة إما بوقت، أو بمكان، أو بهيئة.

(أ) الاستغفار المطلق:

١-أخرج أبو داود و والترمذي من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: إنا كُنَّا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس يقول:" رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ".

- وفي رواية:" إنك أنت التواب الغفور ". (السلسلة الصحيحة: ٥٥٦) (صحيح الجامع: ٣٤٨٦)

٢- وأخرج البخاري ومسلم من حديث

أبي موسىٰ الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدُّعاءِ:" رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وإسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي، وَجَهْلِي، وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ".

٣- وأخرج الإمام مسلم من حديث عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه ﷺ أنه سمع النبي ﷺ، وأتاه رجل فقال: يا رسول الله! كيف أقول حين أسألُ رَبِّي؟ قال:" قُل: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارحمني، وَعَافِنِي، وارْزُقْني، ويجمع أصابعه إِلَّا الإِبْهَامِ " فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دنياك وآخرتك ".

٤- وأخرج أبو داود والترمذي من حديث بلال بن يَسَارِ بنِ زَيْدٍ قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺ يقول:" مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ الله الذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، وَأَتُوبُ إليه، غَفَرَ الله لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ ". (صحيح أبي داود:١٣٤٣) (صحيح الترمذي: ٢٨٣١)

(ورواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ إلا أنه قال:" يقولها ثلاثا ").

٥- وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: ما دنوتُ من رسول الله ﷺ في صلاةٍ مَكتوبةٍ ولا تطوُّعٍ إلَّا سمعتُه يقول:" اللَّهمَّ اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلَّها، اللَّهمَّ أنعِشني واجبُرني واهدِني لصالِحِ الأخلاقِ والأعمالِ، لا يَهدي لصالِحِها ولا يصرفُ سيِّئَها إلَّا أنتَ ".

(ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٢٦٠)

٦- ومر بنا الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

".... إنَّ ربَّكَ يعجَبُ من عبدِه إذا قالَ اغفِر لي ذنوبي يعلَمُ أنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ غيري ".

(صحيح الجامع: ٢٠٦٩) (صحيح أبي داود: ٢٦٠٢)

ورواه الحاكم بلفظ:" إن الله ليعجب من العبد إذا قال لا إله إلا أنت، إني ظلمت نفسي، فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال الله:" عبدي عرف أن له ربًّا يغفر ويعاقب ". (الصحيحة: ١٦٥٣) (صحيح الجامع: ١٨٢١)

(ب) الاستغفار المقيد:

١ – الاستغفار عند اعتناق الإسلام:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه ﷺقال: كان الرجلُ إِذا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النبي ﷺ الصلاة، ثُمَّ أمره أن يدعَ بهؤلاء الكلمات: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي".

٢ – الاستغفار خوفا من الوقوع في الشرك:

أخرج البخاري في الأدب المفرد عن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر ﷺ:" يا أبا بكرٍ، لَلشِّركُ فيكم أخْفىٰ من دبيبِ النَّملِ، والذي نفسي بيدِه، لَلشِّركُ أخْفىٰ من دَبيبِ النَّملِ، ألا أدُلُّك علىٰ شيءٍ إذا فعلتَه ذهب عنك قليلهُ وكثيرهُ؟ قل: اللهم إني أعوذُ بك أن أشرِكَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفِرُك لما لا أَعلمُ ". (صحيح الأدب المفرد: ٥٥١) (صحيح الجامع: ٣٧٣١)

٣– الاستغفار في أذكار الصباح والمساء:

فقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث شداد بن أوس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:" سَيِّدُ الاستغفار أَن يَقُول العبْدُ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إله إلَّا أنتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبوء بذنبي، فاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ". من قالها من النَّهَارِ مُوقِنًا بها، فمات من يومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، فَهُوَ مِنْ أهلِ الجنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ الليل وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ ".

– وفي رواية عند الترمذي من حديث شداد بن أوس ﷺ أن النبي ﷺ قال له:" ألا أدلك علىٰ سيد الاستغفار؟ اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك عليّ، وأعترف بذنوبي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، لا يقولها أحدكم حين يمسي فيأتي عليه قدر قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح فيأتي عليه قدر قبل أن يمسي إلا وجبت له الجنة ".

(الصحيحة:١٧٤٧)

٤- الاستغفار عقب إفاضة الحجيج من عرفات:

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:١٩٩)

٥- الاستغفار عند الخروج من الخلاء:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج من الخَلاءِ، قال:" غفرَانك[1] ". (صححه الألباني في الإرواء: ٥٢)

٦- الاستغفار بعد الفراغ من الوضوء:

فقد أخرج النسائي في عمل اليوم والليلة والحاكم والطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قَال: قال رسول اللهِ ﷺ:" مَنْ تَوَضَّأَ، فقال بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ وُضُوئِهِ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ[2]، ثُمَّ جُعِلَ فِي طَابَعٍ، فَلَمْ يُكْسَر إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ ". (الصحيحة: ٢٣٣٣)

- وأخرج الإمام أحمد والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن السني عن أبي موسىٰ ﷺ قال: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ بوَضوءٍ فتوضَّأَ، فسَمِعْتُهُ يدعو يقولُ:" اللَّهمَّ اغفِر لي ذَنبي، ووسِّع لي في داري، وبارِكْ لي في رِزقي "، فقُلتُ: يا رسولَ اللهِ! سَمِعْتُكَ تَدعو بِكَذا وَكَذا، قالَ:" وَهَل ترَكْنَ مِن

١- سؤال المغفرة هنا لأمرين، الأول: كما ذكره ابن العربي- رحمه الله- فقال:" هو العجز عن شكر النعمة في تيسير الغذاء، وإيصال منفعته، وإخراج فَضْلَته. الأمر الثاني كما قال الشوكاني-رحمه الله-: " والحكمة في هذا الاستغفار أنه لما ترك ذكر الله تعالى بلسانه مدة قضاء الحاجة؛ رأي ذلك تقصيرًا، فاستدرك بالاستغفار .اهـ. (تحفة الذاكرين ص ١٥١)

٢- والرَّقُ: ما يُكتب فيه من جلد وغيره، والطابع: هو الخاتم: والمعنى أنه يُختم على ذلك المكتوب في الرق، فلا يتطرق إليه تغيير ولا إبطال.

شيءٍ؟". (ضعفه البعض وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٢٦٥، وقال الأرناؤوط: حديث حسن)

٧- الاستغفار عند دخول المسجد والخروج منه:

أخرج ابن ماجه من حديث فَاطِمةَ بنتِ رسول الله ﷺ، قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا دَخَلَ المَسْجِد يقول:" بسم الله، والسَّلامُ علىٰ رسولِ اللهِ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وافتح لي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ "، وإذا خرج قال: "بسم الله، والسّلامُ عَلىٰ رسولِ اللهِ، اللهُمَّ اغْفِرْ لي ذُنُوبِي، وافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ ". (صحيح ابن ماجه: ٦٢٥)

٨- الاستغفار في دعاء استفتاح الصلاة:

أخرج الإمام مسلم وأبو داود والترمذي من حديث عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" اللهم أنتَ الملِكُ، لا إله إلا أَنْتَ، سُبْحَانَك وبِحَمْدِكَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ... الحديث".

٩- الاستغفار في الركوع والسجود:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت:" كان رسولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رَكُوعِهِ وسُجُودِهِ:" سُبْحَانَكَ اللهُمَّ ربَّنا وبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي يتأَوَّلُ القُرْآن[1] ".

- وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ:" كان إذا كان راكعًا أو ساجدًا، قال:" سُبْحَانَكَ وبحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إليك ". (الصحيحة:٢٠٨٤)

١٠- الاستغفار في السجود وبعد التشهد الأخير:

١- يتأول القرآن: أي يفعل ما أُمر به في قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً} (النصر:٣)

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- أن أبا بكر الصديق ﷺ قالَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ:" عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو به فِي صَلَاتِي، قالَ:" قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، ولَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِن عِندِكَ، وارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رسول الله ﷺ كَان يَقُول فِي سُجُودِهِ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وعَلَانِيَتَهُ وسِرَّهُ ".

١١- الاستغفار في الجلوس بين السجدتين:

أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن حُذَيْفَةَ ﷺ أنَّ النبي ﷺ كان يقولُ بين السجدتين:" رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي ". (صححه الألباني في الإرواء: ٣٣٥)

- وأخرج أبو داود والترمذي من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ يقولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي ". (صحيح أبي داود:٧٥٦)

١٢- الاستغفار بعد التشهد:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن محجن بن الأدرع ﷺ: أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، إذا رجل قد قضىٰ صلاته، وهو يتشهد فقال: اللهم إني أسألك يا الله، بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد: أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم. فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" قَدْ غُفِرَ لَه " ثلاثًا ". (صحيح أبي داود: ٩٨٥)

- وأخرج الإمام مسلم من حديث عليّ ﷺ أن رسول الله ﷺ كان مِنْ آخر ما يقولُ بين التشهد والتسليم:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ومَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ".

١٣- الاستغفار بعد الانصراف من الصلاة:

أخرج الإمام مسلم من حديث ثَوْبَانَ ﷺ قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، اسْتَغْفَرَ ثلاثًا، وقال:" اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ يا ذا الجلال والإكرام ".

قال الوليد:" فقلتُ للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أَسْتَغْفِرُ الله، أَسْتَغْفِرُ الله ".

١٤ - الاستغفار عند القيام من الليل للتهجد:

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يتَهَجَّدَ، قَالَ:" اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ ".

١٥ - الاستغفار عند الاستسقاء[١]:

أخرج الشافعي في كتابه الأم من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ كان إذا استسقىٰ قال:" اللهم اسقِنا غيثًا[٢] مغيثًا[٣]، هنيئًا مريئًا[٤]، مريعًا[٥]غدَقًا، مجلِّلاً[٦] عامًّا، طبقًا سحًّا[٧] دائمًا، اللهم اسقِنا الغيث، ولا تجعَلْنا من القانطين، اللهم إن بالعباد والبلاد والبهائم والخَلْق من اللأواءِ[٨]والجَهد والضنك ما لا نشكو إلا إليك، اللهم أنبِتْ لنا الزرع، وأدِرَّ لنا الضرع، واسقِنا من

١- الاستسقاء: هو طلب السقيا، أي: المطر.

٢- غيثاً: أي مطراً.

٣- مغيثًا: أي معينًا، من الإغاثة بمعنى الإعانة، وقيل: أي مشبعًا، وقيل: منقذًا من الشدة، وقيل: المحيي بإذن الله تعالى.

٤- مريئًا: أي هنيئًا صالحًا خاليًا عن كل ما ينغصه؛ كهدم أو غرق، يعني محمود العاقبة.

٥- مريعًا: أي مخصبًا ناجعًا، ويروى: مُربعًا: أي منبتًا للربيع، ويروى: مرتعًا: أي ينبت الله فيه ما ترتع فيه المواشي، قال الخطابي: مريعًا يروى على وجهين، بالياء والباء، فمن رواه بالياء جعله من المراعة، يقال: أمرع المكان: إذا أخصب، ومَن رواه مربعًا، كان معناه منبتًا للربيع.

٦- مجلِّلاً: أي عامًّا، يجلل الأرض؛ أي: يعُمُّها.

٧- سحًّا: السحُّ هو شديد الوَقْع على الأرض.

٨- اللأواء: شدة المجاعة.

بركات السماء، وأنبِتْ لنا من بركات الأرض، اللهم ارفع عنا الجَهدَ والجوع والعُرْيَ، واكشف عنا مِن البلاء ما لا يكشفه غيرُك، اللهم إنا نستغفِرُك إنك كنتَ غفارًا؛ فأرسلِ السماءَ علينا مِدرارًا[1] ".

قال الشافعي-رحمه الله -:" وأحبُّ أن يدعوَ الإمام بهذا ".

١٦- الاستغفار في ختام المجالس:

أخرج الترمذي والنسائي في السنن الكبرىٰ وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن جلسَ في مجلِسٍ فَكَثرَ فيهِ لغطُهُ، فقالَ قبلَ أن يقومَ من مجلسِهِ ذلِكَ: سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ، إلَّا غُفِرَ لَهُ ما كانَ في مجلِسِهِ ذلِكَ ".

(صحيح الترمذي: ٣٤٣٣)

وأخرج أبو داود من حديث أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد ﷺ قال:" كان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ بأخَرةٍ إذا أراد أن يقومَ من المجلس:" سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرُك وأتوبُ إليك، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! إنك لَتقولُ قولًا ما كنتَ تقولُه فيما مضىٰ، قال:" كفارةٌ لما يكونُ في المجلسِ ". (قال الحافظ في الفتح سنده قوي)

١٧- الاستغفار إذا وقع الإنسان في ذنب:

وهو من آكد المواضع التي يستحب فيها الاستغفار.

وقد قال آدم -عليه السلام- وزوجه حينما عصيا الله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣)

وحين قتل موسىٰ رجلًا لم يؤمر بقتله قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص: ١٦)

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٥)

١- مِدرارًا بكسر الميم: والمِدرار الكثيرُ الدرِّ والقَطْر المتوالي.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (النساء:١١٠)

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة -رضىٰ لله عنها- أن النبي ﷺ قال لها في حادثة الإفك: " إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ: النَّدَمُ والاستغفار". (السلسلة الصحيحة: ١٢٠٨)

وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ:" إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لَيَرْفَعُ القَلَمَ سِتّ سَاعَاتٍ عَنِ العَبْدِ المُسْلِمِ المخطئ أَوِ المُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا عَنْهُ، وَإِلا كُتِبَتْ وَاحِدَةً ". (السلسلة الصحيحة:١٢٠٩)

١٨- الاستغفار في صلاة التوبة:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي بَكْرِ الصِّدِّيق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أصاب ذنبًا وأراد أن يتوب-وفي رواية -:" مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثم يتوضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، ثمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَستَغْفِرُ الله إلا غَفَرَ له ".

وعند الترمذي بلفظ:" مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، ثُمَّ تستغفرُ الله، إِلَّا غَفَر الله له"، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ﴾ (آل عمران: ١٣٥)

١٩- الاستغفار لمن مات في الحَدِّ:

أخرج الإمام مسلم من حديث طويل عن بُرَيْدَةَ ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال عن ماعز لما رجم: " اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قسمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ ".

٢٠- الاستغفار عند النوم:

أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قالَ: اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ. فَقالَ له رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هذا مِن عُمَرَ؟ فَقالَ: مِن خَيْرٍ مِن عُمَرَ؛ مِن

رَسولِ اللهِ ﷺ ".

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: عن النبي ﷺ قال:" إذا جاءَ أَحَدُكُمْ فِراشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بصَنِفَةِ[1] ثَوْبِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ولْيَقُلْ: باسْمِكَ رَبِّ وضَعْتُ جَنْبِي، وبِكَ أَرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فاغْفِرْ لَها، وإنْ أَرْسَلْتَها فاحْفَظْها بما تَحْفَظُ به عِبادَكَ الصَّالِحِينَ ".

وأخرج أبو داود والحاكم عن أبي الأَزْهَرِ الأَنْمَارِيِّ ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ إذا أخذَ مضجعَه منَ اللَّيلِ قالَ:" بسمِ اللهِ وضعتُ جنبي، اللَّهمَّ اغفر لي ذنبي وأخسئ شيطاني، وفُكَّ رِهاني وثقِّل ميزاني واجعَلني في النَّديِّ الأعلَىٰ ". (صحيح أبي داود: ٥٠٥٤) (صححه الألباني في تحقيق المشكاة:٢٣٤٥) ما أحلىٰ أن تختم ليلتك بالاستغفار.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث شداد بن أوس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:" سَيِّدُ الاستغفار أَن يَقُول العبْدُ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إله إلَّا أنتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبوء بذنبي، فاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ". من قالها من النَّهَارِ مُوقِنًا بها، فمات من يومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، فَهُوَ مِنْ أهلِ الجنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ الليل وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ ".

١- صَنِفَةِ: بفتح الصاد، وكسر النون، وفتح الفاء: وهي حاشية الثوب.

٢١- عند التقلب علىٰ الفراش ليلًا:

أخرج البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن تَعارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَىٰ كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وسُبْحَانَ اللهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ ".

٢٢- الاستغفار عند الاحتضار:

أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت:" سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وهو مُسْتَنِدٌ إلَيَّ يقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْنِي وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ ".

- وعن الترمذي بلفظ:" سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ عندَ وفاتِه:" اللَّهم اغفِر لي وارحَمني وألحِقني بالرَّفيقِ الأعلَىٰ ". (صحيح الترمذي: ٣٤٩٦)

٢٣- الاستغفار بعد خروج روح الميت:

أخرج الإمام مسلم من حديث أُم سَلَمَةَ -رضي الله عنها- قالت: دَخَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ علَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فأغْمَضَهُ، ثُمَّ قالَ: إنَّ الرُّوحَ إذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ، فَضَجَّ نَاسٌ مِن أَهْلِهِ، فَقالَ: لا تَدْعُوا علَىٰ أَنْفُسِكُمْ إلَّا بخَيْرٍ؛ فإنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ علَىٰ ما تَقُولونَ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ له في قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ له فِيهِ ".

٢٤- الاستغفار عند نعي الشهيد أو الميت:

أخرج الإمام أحمد والنسائي في الكبرىٰ عن أبي قتادة ﷺ قال:" بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ وَقَالَ: عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ، فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَأُمِّي، مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا، قَالَ:" امْضُوا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَىٰ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا

الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّىٰ لَقُوا الْعَدُوَّ فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَشَدَّ عَلَىٰ الْقَوْمِ حَتَّىٰ قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّىٰ أُصِيبَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ...الحديث". (قال محققو المسند: صحيح لغيره)

وأخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: نَعَىٰ لنا رَسولُ اللهِ ﷺ النَّجاشِيَّ صاحِبَ الحَبَشَةِ، يَومَ الذي ماتَ فِيهِ، فقالَ:" اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ. وعَنِ ابْنِ شِهابٍ، قالَ: حدَّثَني سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ: أنَّ أبا هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ صَفَّ بهِمْ بالمُصَلَّىٰ فَكَبَّرَ عليه أرْبَعًا ".

وأخرجه النسائي وأحمد بلفظ:" لمَّا ماتَ النَّجاشيُّ قالَ النَّبيُّ ﷺ:" استغفِروا لَه ". (صحيح النسائي: ٢٠٤٠)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال:" لَمَّا فَرَغَ النَّبيُّ ﷺ مِن حُنَيْنٍ، بَعَثَ أبَا عَامِرٍ علَىٰ جَيْشٍ إلىٰ أوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وهَزَمَ اللهُ أصْحَابَهُ. قالَ أبو مُوسَىٰ: وبَعَثَنِي مع أبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أبو عَامِرٍ في رُكْبَتِهِ؛ رَمَاهُ جُشَمِيٌّ[1] بسَهْمٍ فأثْبَتَهُ في رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إلَيْهِ، فَقُلْتُ: يا عَمِّ، مَن رَمَاكَ؟ فأشَارَ إلىٰ أبِي مُوسَىٰ فَقالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الذي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ له فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي ولَّىٰ، فَاتَّبَعْتُهُ وجَعَلْتُ أقُولُ له: ألَا تَسْتَحْيِي! ألَا تَثْبُتُ! فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لأبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللهُ صَاحِبَكَ، قالَ: فَانْزِعْ هذا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا منه المَاءُ[2]، قالَ: يا ابْنَ أخِي، أقْرِئِ النَّبيَّ ﷺ السَّلَامَ، وقُلْ له: اسْتَغْفِرْ لِي. واسْتَخْلَفَنِي أبو عَامِرٍ علَىٰ النَّاسِ، فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ علَىٰ النَّبيِّ ﷺ في بَيْتِهِ علَىٰ سَرِيرٍ مُرْمَلٍ[3] وعليه فِرَاشٌ، قدْ أثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بظَهْرِهِ وجَنْبَيْهِ، فأخْبَرْتُهُ بخَبَرِنَا وخَبَرِ أبِي عَامِرٍ، وقالَ: قُلْ له: اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بمَاءٍ فَتَوَضَّأَ،

---

١ - جشمي: رجل من بني جشم.

٢ - نزا منه الماء؛ أي: انصب من موضع السهم.

٣ - سرير مُرمل: بميم مشددة مفتوحة؛ أي معمول بالرمال وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأسِرَّة.

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أبِي عَامِرٍ. ورَأَيْتُ بَيَاضَ إبْطَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يومَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِن خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ. فَقُلتُ: ولِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ ابنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وأَدْخِلْهُ يومَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا ".

قالَ أبو بُرْدَةَ: إحْدَاهُما لأبِي عَامِرٍ، والأُخْرَىٰ لأبِي مُوسَىٰ.

٢٥- الاستغفار في دعاء صلاة الجنازة:

صَلاةُ الجِنَازَةِ رَحْمَةٌ للمَيِّتِ؛ فقدْ شُرِعتْ للدُّعاءِ له، وعلىٰ المُسلمِ الذي يُصلِّي علىٰ الميِّتِ أنْ يَجتهِدَ في الدُّعاءِ له بالمغفرةِ والرَّحمةِ

فقد أخرج أبو داود وابن ماجه عَنْ واثلة بنِ الأسقع الليثي ﷺ قال: صلَّىٰ بِنا رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ رجلٍ منَ المسلمينَ، فسمعتُهُ يقولُ:" اللَّهمَّ إنَّ فلانَ بنَ فلانٍ في ذمَّتِكَ[1] وحبلِ جوارِكَ[2]، فقِهِ فتنةَ القبرِ، وعذابِ النَّارِ، وأنتَ أهلُ الوفاءِ[3] والحمدِ[4]، اللَّهمَّ فاغفر لهُ وارحمهُ[5]، إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ[6] ". (صحيح أبي داود: ٣٢٠٢)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي في السنن الكبرىٰ من حديث أبي هريرة ﷺ قال:" كان النبيُّ ﷺ إذا صلَّىٰ علىٰ جنازةٍ قال:" اللهمَّ اغفرْ لحيِّنا وميتِنا، وشاهِدِنا وغائبِنا، وصغيرِنا وكبيرِنا، وذكرِنا وأنثانا، اللهمَّ من أحييتَه منا فأحيهِ علىٰ الإسلامِ، ومن توفَّيتَه منا فتوفَّهُ علىٰ الإيمانِ ".

١- اللَّهُمَّ إنَّ فلانَ بنَ فلانٍ في ذِمَّتِك: أي: في حِفْظِك وأمَانِك وضَمانِك، ولعلَّ النَّبِيَّ ﷺ جعَله في ذِمَّةِ الله؛ لأنَّه كان يُصَلِّي الصُّبْحَ معهم؛ لأنَّ مَن صلَّى الصُّبحَ كانَ في ذِمَّةِ الله.

٢- وحَبْل جوارِك: أي: اجْعَله في أمانٍ منَ العذابِ، وفي كَنَفِ حِفْظِك، و"الحَبْلُ" هو العَهْدُ والميثاقُ.

٣- وأنْتَ أهْلُ الوَفَاءِ: أيْ: بالوَعْدِ، فاللهُ لا يُخلِفُ الميعادَ، فأنتَ أهْلُ الوَفَاءِ لِمَن ماتَ على التَّوْحيدِ ألَّا تُعَذِّبَه.

٤- والْحَمْدِ: أي: والحمدُ لك وحْدَك؛ فأنتَ أهلُ الثَّنَاءِ والشُّكْرِ، تُرْجَى مغفِرَتُك.

٥- اللَّهُمَّ فاغْفِرْ له وارْحَمْه: لأنَّ هذا هو مقْصُودُ الصَّلاةِ على الميِّتِ، فاغْفِر له بِمَحْوِ السَّيِّئَاتِ، وارحَمْه برَفْعِ الدَّرَجاتِ.

٦- إنَّك أنتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ: أي: كثيرُ المغفِرَةِ للذُّنوبِ، وكثيرُ الرَّحمةِ بقَبولِ الطَّاعاتِ، وفي هذا إشارةٌ إلى سَعَةِ رَحْمتِه ومغفرتِه وشُمولِهما.

زاد بعضُهم:" اللهمَّ لا تحرمنا أجرَه ولا تضلَّنا بعده ".

- وفي رواية:" صلَّىٰ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ جِنازةٍ فقالَ اللَّهُمَّ اغفِر لحيِّنا وميِّتِنا وصغيرِنا وَكبيرِنا وذَكَرِنا وأنثانا وشاهِدِنا وغائبِنا اللَّهُمَّ مَن أحييتَه منَّا فأحيِهِ علَىٰ الإيمانِ ومَن تَوفَّيتَه مِنَّا فتوفَّهُ علىٰ الإسلامِ اللَّهُمَّ لا تحرِمنا أجرَه ولا تُضِلَّنا بعدَه ". (صحيح أبي داود: ٣٢٠١)

وأخرج الإمام مسلم من حديث عوف بن مالك ﷺ قَالَ: صَلَّىٰ رسولُ اللهِ ﷺ عَلىٰ جَنَازَةٍ، فحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وهو يقولُ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ".

الحديث.

٢٦- الاستغفار عند دفن الميت:

أخرج أبو داود والحاكم والبيهقي من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الرجل، وقفَ عليه، وقال:" اسْتَغْفِرُوا لأخيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآن يُسأَلُ ". (صحيح أبي داود: ٣٢٢١)

٢٧- الاستغفار عند زيارة القبور:

وأخرج الإمام مسلم عن عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قالَتْ في حديث طويل: قال رسول الله ﷺ:" قال لي جبريل: إنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لهمْ...".

- وفي رواية:" إنَّ جبريلَ أتاني حينَ رَأَيْتِ فَنادَانِي... فقال: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أهلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لهُمْ ". (صحيح الجامع: ٢٠٥٣)

٢٨- الاستغفار عن الخسوف أو الكسوف:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقامَ النبيُّ ﷺ فَزِعًا، يَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فأتَىٰ المَسْجِدَ، فَصَلَّىٰ بأَطْوَلِ قِيامٍ ورُكُوعٍ وسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ، وقالَ: هذِه الآياتُ الَّتي يُرْسِلُ اللهُ، لا تَكُونُ لِمَوْتِ أحَدٍ ولا لِحَياتِهِ، ولَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ به عِبادَهُ، فإذا رَأَيْتُمْ شيئًا مِن ذلكَ، فافْزَعُوا إلىٰ ذِكْرِهِ ودُعائِهِ واسْتِغْفارِهِ ".

٢٩- الاستغفار وقت السَّحَر:

قال تعالىٰ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ (آل عمران:١٧)

وقال تعالىٰ:﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات:١٨)

والاستغفار والدعاء في السحر له شأن عظيم عند رب العالمين، وهو وقت التنزل الإلهي.

وقد قال إخوة يوسف لأبيهم كما ذكر القرآن: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف:٩٧)

فقال لهم: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يوسف:٩٨)

أي سوف أستغفر لكم وقت السحر، فهذا أدعىٰ للقبول.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَىٰ كُلَّ لَيْلةٍ إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ:" مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟".

أخي الحبيب... رياح هذه الأسحار تحمل أنين المذنبين، وأنفاس المحبين، وقصص التائبين، ثم تعود برد الجواب بلا كتاب. لو رأيت رياح الأسحار تحرك أشجار القلوب، فتقع ثمار المحبة.

أنشد عليّ زين العابدين -رحمه الله- فقال:

أَنَا العَبْـــدُ الَّـذِي كَسَبَ الذُّنُوبَـا وَصَدَّتْـــهُ الْأَمَـــانِي أَنْ يَتُوبَـــا
أَنَا العَبْـــدُ الَّذِي أَضْحَىٰ حَزِينًا عَلَىٰ زَلَّاتِـــــهِ قَلِقًـــــــا كَئِيبَـــا
أَنَا الْعَبْـــدُ الَّذِي سُطِرَتْ عَلَيْـــهِ صَحَائِفُ لَمْ يَخَفْ فِيهَا الرَّقِيبَا
أَنَا العَبْدُ الْمُسِيءُ عَصَيْتُ سِرًّا فَمَـا لِي الْآنَ لَا أُبْـدِي النَّحِيبَا
أَنَا العَبْـــدُ الْمُفَرِّطُ ضَاعَ عُمرِي فَـلَمْ أَرْعَ الشَّبِيبَـــةَ وَالْمَشِيبَـا
أَنَا العَبْـــدُ الْغَرِيـــقُ بِلُجِّ بَحْـــرٍ أَصِيحُ لَرُبَّمَـــا أَلْقَىٰ مُجِيبَـــــا

أَنَا العَبْـدُ السَّقِيمُ مِــن الْخَطَايَا وَقَـــدْ أَقْبَلْــتُ أَلْتَمِسُ الطَّبِيبَا

أَنَا العَبْـدُ الْمُخَلَّفُ عَـــنْ أُنَاسٍ حَوَوْا مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ نَصِيبَـا

أَنَا العَبْـدُ الشَّرِيدُ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَقَـــدْ وَافَـــيْتُ بَابَـكُمْ مُنِيبَا

أَنَا العَبْـدُ الْفَقِيرُ مَـــدَدْتُ كَفِّي إِلَيْكُمْ فَادْفَعُوا عَنِّي الْخُطُوبَـــا

أَنَا الغَدَّارُ كَمْ عَاهَدْتُ عَهْـــدًا وَكُنْتُ عَلَىٰ الْوَفَـاءِ بِهِ كَذُوبَـا

أَنَا المَقْطُوعُ فَـارْحَمْنِي وَصِلْنِي وَيَسِّرْ مِنْكَ لِي فَرَجًـــا قَرِيبَـا

أَنَا المُضْطَرُّ أَرْجُو مِنْكَ عَـفْوًا وَمَنْ يَرْجُو رِضَاكَ فَلَنْ يَخِيبَـا

فَيَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ عُـمُرٍ تَقَضَّىٰ وَلَـــمْ أَكْسِبْ بِهِ إِلَّا الذُّنُوبَـــا

وَأَحْـذَرُ أَنْ يُعَـــاجِلَنِي مَمَـــاتٌ يُحَيِّرُ هَـوْلُ مَصْرَعِهِ اللَّبِيبَـــا

وَيَا حُزْنَاهُ مِـنْ حشْرِي وَنشْرِي بِيَوْمٍ يَجْـعَلُ الْـوِلْدَانَ شِيبَـــا

تَفَطَّـرَت السَّمَاءُ بِـهِ وَمَـــارَتْ وَأَصْبَحَت الْجِبَالُ بِـهِ كَثِيبَـــا

إِذَا مَا قُمْـتُ حَـيْرَانًـــا ظَمِيئًا حَسِيرَ الطَّـرْفِ عُرْيَانًا سَلِيبَـا

وَيَا خَـجَلَاهُ مِـنْ قُبْحِ اكْتِسَابِي إِذَا مَا أَبْدَت الصُّحُفُ الْعُيُوبَـا

وَذِلَّـــةِ مَوْقِفٍ وَحِسَابِ عَـــدْلٍ أَكُونُ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِي حَسِيبَـا

وَيَـا حَـــذَرَاهُ مِـــنْ نَـارٍ تَلَظَّىٰ إِذَا زَفَـرَتْ وَأَقْلَقَـت الْقُلُوبَـــا

تَكَـــادُ إِذَا بَـــدَتْ تَنْشَقُّ غَيْظًا عَلَىٰ مَـنْ كَانَ ظَلَّامًا مُرِيبَـــا

فَيَا مَنْ مَدَّ فِي كَسْبِ الْخَطَايَـا خُطَاهُ أَمَا يأني لَكَ أَنْ تَتُوبَـا

أَلَا فَـــاقْلِعْ وَتُبْ وَاجْـــهَدْ فَإِنَّـــا رَأَيْنَا كُـــلَّ مُجْتَهِـــدٍ مُصِيبَـا

وكان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار لأمته الأحياء منهم والأموات:

فقد أخرج الامام مسلم من حديث أنس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَغْفَرَ لِلْأَنْصَارِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: " وَلِذَرَارِيِّ الْأَنْصَارِ، وَلِمَوَالِي الْأَنْصَارِ لَا أَشُكُّ فِيهِ ".

وأخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ الأنصارَ اشتَدَّتْ عليهم السَّواني[1]، فأتَوُا النَّبيَّ ﷺ ليدعُوَ لهُم أو يَحفِرَ لهم نَهرًا، فأُخبِرَ النَّبيُّ ﷺ بذلكَ، فقال: لا يَسألوني اليومَ شيئًا إلَّا أُعطوه. فأُخبِرَتِ الأنصارُ بذلكَ، فلمَّا سَمِعوا ما قال النَّبيُّ ﷺ، قالوا: ادعُ اللهَ لنا بالمغفرةِ، فقال: اللهمَّ اغْفِرْ لِلأنصارِ، ولأبناءِ الأنصارِ، ولِأبناءِ أبناءِ الأنصارِ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ، قَالُوا: وَلِلْمُقَصِّرِينَ، قَالَ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ "، قَالُوا: وَلِلْمُقَصِّرِينَ، قَالَهَا ثَلَاثًا، قَالَ:" وَلِلْمُقَصِّرِينَ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ؟ قُلْنَا: بَلَىٰ، قالَ: قالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتي الَّتي كانَ النَّبيُّ ﷺ فِيهَا عِندِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُما عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إزَارِهِ علَىٰ فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إلَّا رَيْثَما ظَنَّ أَنْ قدْ رَقَدْتُ، فأخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ البَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ[2] رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي[3] في رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ[4]، وَتَقَنَّعْتُ إزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ علَىٰ إثْرِهِ، حتَّىٰ جَاءَ البَقِيعَ فَقَامَ، فأطَالَ القِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فأسْرَعَ فأسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فأحْضَرَ

١- السَّواني جَمعُ سانِيَةٍ، وهو البَعيرُ الذي يُخرِجُ الماءُ بواسِطَتِه ويُحمَلُ عليه، والمعنى: شقَّ على الأنصارِ نَقلُ الماءِ من الآبارِ على الإبِلِ لسَقْيِ الزَّرعِ، فأتَوا النَّبيَّ ﷺ ليَدعُوَ لهم أو يَحفِرَ لهم نَهرًا.

٢- أجافه: أغلقه.

٣- درعي : درع المرأة قميصها.

٤- اختمرت: لبست خماري.

فأحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فليسَ إلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقالَ: ما لَكِ يا عَائِشُ؟ حَشْيَا رَابِيَةً[1]؟ قالَتْ: قُلتُ: لا شَيءَ، قالَ: لَتُخْبِرِينِي، أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ، قالَتْ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، بأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فأخْبَرْتُهُ، قالَ: فأنْتِ السَّوَادُ الذي رَأَيْتُ أَمَامِي؟ قُلتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي[2] في صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قالَ: أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسولُهُ؟! قالَتْ: مَهْما يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ، نَعَمْ، قالَ: فإنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فأخْفَاهُ مِنْكِ، فأجَبْتُهُ، فأخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقالَ: إنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لهمْ، قالَتْ: قُلتُ: كيفَ أَقُولُ لهمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: قُولِي: السَّلَامُ علَىٰ أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وإنَّا -إنْ شَاءَ اللهُ- بكُمْ لَلَاحِقُونَ.

وأخرج البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ، جَاءَ ابنُهُ إلىٰ النبيِّ ﷺ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ! أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وصَلِّ عليه، واسْتَغْفِرْ له، فأعْطَاهُ النبيُّ ﷺ قَمِيصَهُ، فَقالَ: آذِنِّي أُصَلِّي عليه، فَآذَنَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عليه جَذَبَهُ عُمَرُ ﷺ، فَقالَ: أَلَيسَ اللهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ علَىٰ المُنَافِقِينَ؟ فَقالَ: أَنَا بيْنَ خِيَرَتَيْنِ، قالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لهمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لهمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لهمْ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لهمْ﴾ (التوبة:٨٠) فَصَلَّىٰ عليه، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تُصَلِّ علَىٰ أَحَدٍ منهمْ مَاتَ أَبَدًا ولَا تَقُمْ علَىٰ قَبْرِهِ﴾ (التوبة:٨٤).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث سعيد بن المُسَيَّبِ عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ وسلَّمَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وعَبْدَ اللهِ بنَ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ، فَقالَ: أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللهِ فَقالَ أبو جَهْلٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عليه، ويُعِيدَانِهِ بتِلْكَ المَقَالَةِ، حتَّىٰ قالَ أبو طَالِبٍ

١- حشيا رابية: يجوز في عائش فتح الشين وضمها وَحشْيَا: معناه قد وقع عليك الحشا؛ وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه المحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره.

٢- لهدني: ضربني.

آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ: علَىٰ مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ، وأَبَىٰ أنْ يَقُولَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: واللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ فأنْزَلَ اللهُ: ﴿ما كانَ للنبيِّ والذينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِىٰ قُرْبىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَبُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة:١١٣) وأَنْزَلَ اللهُ في أبِي طَالِبٍ، فَقالَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص:٥٦)

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس- رضي الله عنه- قال: قَدِمَ النبيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَنَزَلَ أعْلَىٰ المَدِينَةِ في حَيٍّ يُقَالُ لهمْ بَنُو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، فأقَامَ النبيُّ ﷺ فيهم أرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أرْسَلَ إلىٰ بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أنْظُرُ إلىٰ النبيِّ ﷺ علَىٰ رَاحِلَتِهِ، وأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ[1] ومَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حتَّىٰ ألْقَىٰ بفِنَاءِ أبِي أيُّوبَ، وكانَ يُحِبُّ أنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، ويُصَلِّي في مَرَابِضِ الغَنَمِ، وأنَّهُ أمَرَ ببِنَاءِ المَسْجِدِ، فأرْسَلَ إلىٰ مَلَإٍ مِن بَنِي النَّجَّارِ فَقالَ: يا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بحَائِطِكُمْ[2] هذا، قالوا: لا واللهِ لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إلَّا إلىٰ اللهِ، فَقالَ أنَسٌ: فَكانَ فيه ما أقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وفيهِ خَرِبٌ وفيهِ نَخْلٌ، فأمَرَ النبيُّ ﷺ بقُبُورِ المُشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ وجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ[3] الحِجَارَةَ، وجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وهُمْ يَرْتَجِزُونَ والنبيُّ ﷺ معهُمْ، وهو يقولُ: اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ والمُهَاجِرَهْ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: صَلَّىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ علَىٰ جِنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِن دُعَائِهِ وَهو يقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عنْه، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ،

١- ردفه : أي: راكب وراءه.

٢- ثامنوني بحائطكم، أي : اذكروا لي ثمن بستانكم.

٣- عضادتيه :عضادتا الباب خشبتان منصوبتان مثبتتان في الحائط على جانبيه .

وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِن دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِن أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِن زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِن عَذَابِ القَبْرِ، أَوْ مِن عَذَابِ النَّارِ ". قالَ: حتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذلكَ المَيِّتَ.

وأخرج البخاري من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت:" وارأساه فقال رسول الله ﷺ:" ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، فقالت عائشة: وا ثكلياه والله إني لأظنك تحب موتي ولو كان ذاك لظللت آخر يومك معرسًا[1] ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ:" بل أنا وارأساه، لقد هممت أو أردت أن أرسل إلىٰ أبي بكر وابنه فأعهد[2] أن يقول[3] القائلون أو يتمنىٰ المتمنون، ثم قلت يأبىٰ الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبىٰ المؤمنون ".

ومر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال:" لَمَّا فَرَغَ النَّبيُّ ﷺ مِن حُنَيْنٍ، بَعَثَ أبَا عَامِرٍ علَىٰ جَيْشٍ إلىٰ أوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وهَزَمَ اللهُ أصْحَابَهُ. قالَ أبو مُوسَىٰ: وبَعَثَنِي مع أبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أبو عَامِرٍ في رُكْبَتِهِ؛ رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بسَهْمٍ فأثْبَتَهُ في رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إلَيْهِ، فَقُلتُ: يا عَمِّ، مَن رَمَاكَ؟ فأشَارَ إلىٰ أبِي مُوسَىٰ فَقالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الذي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ له فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي ولَّىٰ، فَاتَّبَعْتُهُ وجَعَلْتُ أقُولُ له: ألَا تَسْتَحْيِي! ألَا تَثْبُتُ! فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلتُ لأبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللهُ صَاحِبَكَ، قالَ: فَانْزِعْ هذا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا منه المَاءُ، قالَ: يا ابْنَ أخِي، أقْرِئِ النَّبيَّ ﷺ السَّلَامَ، وقُلْ له: اسْتَغْفِرْ لِي. واسْتَخْلَفَنِي أبو عَامِرٍ علَىٰ النَّاسِ، فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ علَىٰ النَّبيِّ ﷺ في بَيْتِهِ علَىٰ سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وعليه فِرَاشٌ، قدْ أثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بظَهْرِهِ وجَنْبَيْهِ، فأخْبَرْتُهُ بخَبَرِنَا وخَبَرِ أبِي عَامِرٍ، وقالَ: قُلْ له: اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أبِي عَامِرٍ. ورَأَيْتُ بَيَاضَ إبْطَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَومَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِن خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ. فَقُلْتُ: ولِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقالَ: اللَّهُمَّ

١- معرسًا: عَرَّس بزوجه؛ أي: بنى بها ثم استعمل في كل جماع.

٢- فأعهد: أي: أوصى.

٣- أن يقول: أي: لئلا يقول.

اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وأَدْخِلْهُ يومَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا ". قالَ أبو بُرْدَةَ: إحْدَاهُما لأبِي عَامِرٍ، والأُخْرَىٰ لأبِي مُوسَىٰ.

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر ﷺأنَّ الطُّفَيْلَ بنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أتَىٰ النبيَّ ﷺ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ! هلْ لكَ في حِصْنٍ حَصِينٍ ومَنْعَةٍ؟ (قالَ: حِصْنٌ كانَ لِدَوْسٍ في الجاهِلِيَّةِ)، فأبَىٰ ذلكَ النبيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلأنْصارِ، فَلَمَّا هاجَرَ النبيُّ ﷺ إلىٰ المَدِينَةِ، هاجَرَ إلَيْهِ الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو وهاجَرَ معهُ رَجُلٌ مِن قَوْمِهِ، فاجْتَوَوُا المَدِينَةَ[1]، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فأخَذَ مَشاقِصَ له[2]، فَقَطَعَ بها بَراجِمَهُ[3]، فَشَخَبَتْ يَداهُ[4] حتَّىٰ ماتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو في مَنامِهِ، فَرَآهُ وهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، ورَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فقالَ له: ما صَنَعَ بكَ رَبُّكَ؟ فقالَ: غَفَرَ لي بهِجْرَتي إلىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، فقالَ: ما لي أراكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قالَ: قيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ ما أفْسَدْتَ، فَقَصَّها الطُّفَيْلُ علَىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ:" اللَّهُمَّ ولِيَدَيْهِ فاغْفِرْ ".

وكان النبي ﷺ يحث الناس على الاستغفار ويرشدهم إليه:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي بكر ﷺ قال: يا رسول الله! عَلِّمْنِي دُعَاءً أدْعُو به في صَلَاتِي، قالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، ولَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِن عِندِكَ، وارْحَمْنِي إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ".

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلتُ يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةَ القدرِ ما أقولُ فيها؟ قال:" قولي: اللهمَّ إنك عفوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي ". (صححه الألباني في المشكاة:٢٠٩١)

١- اجْتَوَوُا المدينة: أي: كرهوا المقام فيها أو أصابهم الجَوى وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول.

٢- مشاقص: سهام طوال.

٣- براجمه: مفاصل أصابعه.

٤- شخبت: أي: سال دمها.

وأخرج البخاري و مسلم من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ قال: جَاءَ مَاعِزُ بنُ مَالِكٍ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ! طَهِّرْنِي، فَقالَ: وَيْحَكَ! ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إلَيْهِ، قالَ: فَرَجَعَ غيرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ! طَهِّرْنِي، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: وَيْحَكَ! ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إلَيْهِ، قالَ: فَرَجَعَ غيرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ! طَهِّرْنِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ مِثْلَ ذلكَ، حتَّىٰ إذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قالَ له رَسولُ اللهِ ﷺ: فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟ فَقالَ: مِنَ الزِّنَىٰ، فَسَأَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أَبِهِ جُنُونٌ؟ فَأُخْبِرَ أنَّهُ ليسَ بمَجْنُونٍ، فَقالَ: أَشَرِبَ خَمْرًا؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ[1]، فَلَمْ يَجِدْ منه رِيحَ خَمْرٍ، قالَ: فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أَزَنَيْتَ؟ فَقالَ: نَعَمْ، فأمَرَ به فَرُجِمَ، فَكانَ النَّاسُ فيه فِرْقَتَيْنِ؛ قَائِلٌ يقولُ: لَقَدْ هَلَكَ؛ لقَدْ أَحَاطَتْ به خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يقولُ: ما تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِن تَوْبَةِ مَاعِزٍ؛ أنَّهُ جَاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، ثُمَّ قالَ: اقْتُلْنِي بالحِجَارَةِ، قالَ: فَلَبِثُوا بذلكَ يَومَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقالَ: اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بنِ مَالِكٍ، قالَ: فَقالوا: غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بنِ مَالِكٍ، قالَ: فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لقَدْ تَابَ تَوْبَةً لو قُسِمَتْ بيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ. قالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِن غَامِدٍ[2] مِنَ الأَزْدِ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ! طَهِّرْنِي، فَقالَ: وَيْحَكِ! ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إلَيْهِ، فَقالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كما رَدَّدْتَ مَاعِزَ بنَ مَالِكٍ، قالَ: وَما ذَاكِ؟ قالَتْ: إنَّهَا حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَىٰ، فَقالَ: آنْتِ؟ قالَتْ: نَعَمْ، فَقالَ لَهَا: حتَّىٰ تَضَعِي ما في بَطْنِكِ، قالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ حتَّىٰ وَضَعَتْ، قالَ: فأتَىٰ النَّبيَّ ﷺ، فَقالَ: قدْ وَضَعَتِ الغَامِدِيَّةُ، فَقالَ: إذنْ لا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا ليسَ له مَن يُرْضِعُهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقالَ: إلَيَّ رَضَاعُهُ يا نَبِيَّ اللهِ، قالَ: فَرَجَمَهَا ".

حال السلف مع الاستغفار:

١- وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يطلب من الصبيان الاستغفار، ويقول:" إنكم لم تُذنبوا".

٢- وكان أبو هريرة ﷺ يقول لغلمان الكتاب: قولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة فَيُؤَمِّنُ علىٰ دعائهم.

١- فاستنكهه: أي شم رائحة فمه.

٢- غامد: بطن من جهينة.

٣- قال عليّ ﷺ:" ما ألهم الله سبحانه عبدًا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه[1] ".

٤- قال عبد الرحمن بن كعب بن مالك: كُنتُ قائدَ أبي حينَ ذَهَبَ بصرُهُ، فَكُنتُ إذا خَرجتُ بِهِ إلىٰ الجمعةِ فسمِعَ الأذانَ استَغفرَ لأبي أُمامةَ أسعدَ بنِ زُرارةَ، ودعا لَهُ، فمَكَثتُ حينًا أسمعُ ذلِكَ منهُ، ثمَّ قُلتُ في نَفسي: واللهِ إنَّ ذا لعَجزٌ، إنِّي أسمعُهُ كلَّما سمعَ أذانَ الجمعةِ يستغفِرُ لأبي أُمامةَ ويصلِّي عليهِ، ولا أسألُهُ عن ذلِكَ لمَ هوَ؟ فخَرجتُ بِهِ كما كنتُ أخرجُ بِهِ إلىٰ الجمُعةِ، فلمَّا سمعَ الأذانَ استغفَرَ كما كانَ يفعَلُ، فقُلتُ لَهُ: يا أبتاهُ، أرأيتَكَ صلاتَكَ علىٰ أسعَدَ بنِ زُرارةَ كلَّما سَمِعتَ النِّداءَ بالجمعةِ لمَ هوَ؟ قالَ: أي بُنَيَّ، كانَ أوَّلَ من صلَّىٰ بنا صلاةَ الجمُعةِ قبلَ مَقدَمِ رسولِ اللهِ ﷺ من مَكَّةَ، في نقيعِ الخضَماتِ، في هزمٍ مِن حرَّةِ بَني بياضةَ، قُلتُ: كَم كنتُمْ يومئذٍ؟ قالَ: أربعينَ رجلًا ".

(صحيح ابن ماجه: ٨٩٣)

٥- قال أبو موسىٰ ﷺ: كان لنا أمانان، ذهب أحدهما – يقصد رسول ﷺ- وبقي الاستغفار معنا، فإن ذهب هلكنا ". (التوبة الي الله للغزالي ص ٢٤)

٦- قال أبو أيوب الأنصاري ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ:" إذَا أتَيْتُمُ الغَائِطَ فلا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، ولَا تَسْتَدْبِرُوهَا ولَكِنْ شَرِّقُوا أوْ غَرِّبُوا ". قالَ أبو أيُّوبَ: فَقَدِمْنَا الشَّأْمَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ بُنِيَتْ قِبَلَ القِبْلَةِ فَنَنْحَرِفُ، ونَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَىٰ ". (أخرجه البخاري ومسلم)

٧- قال أبو هريرة ﷺ:" الغيبة تخرق الصيام، والاستغفار يُرقِّعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم غير مرقع فليفعل ".

٨- وروىٰ الطبري أن عبد الله بن مغفل جاءته امرأة تسأله عن امرأة زنت، فحملت، فلما ولدت قتلت ولدها، فقال:" ما لها؟ لها النار"، فانصرفت المرأة وهي تبكي، فدعاها، ثم قال: ما أرىٰ

١- وكذا قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-.

أمرك إلا أحد أمرين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:١١٠)، فلمَّا سمعت ذلك مسحت دموعها، ثم مضت ".

٩- وقال رجل للبراء ﷺ:" يا أبا عمارة! قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥)، أهو الرجل يلقىٰ العدو فيقاتل حتىٰ يُقتل؟ قال: لا، ولكن هو الذي يذنب الذنب، فيقول: لا يغفر الله لي ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٤)

١٠- وروي ذلك عن النعمان بن بشير ﷺ أيضًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التهلكة﴾، قال:" يقول: إذا أذنب أحدكم؛ فلا يلقين بيده إلىٰ التهلكة، ولا يقول: لا توبة لي، ولكن ليستغفر الله، وليَتُبْ إليه، فإنَّ الله غفور رحيم ".

١١- سئل سهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال:" أوّل الاستغفار الاستجابة، ثم الإنابة، ثم التوبة. فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله علىٰ مولاه، بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ". (التوبة إلىٰ الله للغزالي:١٢٥)

١٢- وقال الحسن-رحمه الله-:" أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلىٰ موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متىٰ تنزل المغفرة ". (شرح الثلاثيات: ٢/ ٩٠٢)

- وقيل للحسن البصري-رحمه الله-: يا أبا سعيد الرجل يذنب، ثم يتوب، ثم يذنب، ثم يتوب، ثم يذنب، ثم يتوب، حتىٰ متىٰ؟"، قال: "ما أعلم هذا إلا أخلاق المؤمنين".

١٣- قال الربيع بن خثيم-رحمه الله-:" تضرعوا إلىٰ ربكم وادعوه في الرخاء؛ فإنَّ الله قال: من

دعاني في الرخاء أجبته في الشدة، ومن سألني أعطيته، ومن تواضع لي رفعته، ومن تضرع لي رحمته، ومن استغفرني غفرت له ". **(منهاج الصالحين: ٩٥١)**

- **قال الربيع بن خثيم أيضًا-رحمه الله- لأصحابه:**" تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟"، قالوا: لا، قال:" الداء: الذنوب، والدواء: الاستغفار، والشفاء: أن تتوب فلا تعود ".

١٤- **وكتب عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-** إلىٰ الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار وصدقة الفطر، فإن الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث.

١٥- **وقال قتادة-رحمه الله-:**" إن هذا القرآن يدلكم علىٰ دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار ".

١٦- **ويروىٰ عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه:**" يا بني عود لسانك:" اللهم اغفر لي"، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلًا ". **(شرح الثلاثيات: ٢/ ٩٠٢)**

١٧- **وقال بعض العارفين:**" إنما معوَّلُ المذنبين: البكاء والاستغفار؛ فمن أهمته ذنوبه؛ أكثر لها من الاستغفار ".

١٨- **وقال بعض الصالحين لولده موصيًا:**" يا بني عوِّد لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلًا ".

١٩- وقال ابن الجوزي-رحمه الله-:" إن إبليس قال:" أهلكت بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار وبـ(لا إله إلا الله)، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ". **(انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم:١/ ١٩٢)**

٢٠- تعلَّق بعض الأعراب بأستار الكعبة وجعل يقول:" اللهُمَّ إنَّ استغفاري مع إصراري لؤم، وإن تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبَّب إليّ بالنعم مع غناك عني، وأتبغّض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وفى، وإذا توعد تجاوز وعفا، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين ". **(الأذكار: ٤٨٢)**

٢١- وسئل أحد الصالحين: أي شيء يفعل الله بعبده إذا أحبه؟ قال:" يلهمه الاستغفار عند التقصير".

٢٢- وسئل ذو النون- رحمه الله-عن الاستغفار فقال:" الاستغفار اسم جامع لمعان ستة، أولهن: الندم علىٰ ما مضىٰ، والثاني: العزم علىٰ ترك الرجوع إلىٰ الذنوب أبدًا، والثالث: أداؤه إذا كان فرضًا ضيعته فيما بينك وبين الله عز وجل، والرابع: أداء المظالم إلىٰ المخلوقين في أموالهم وأعراضهم ويصالحهم عليها، والخامس: إذابة كل لحم ودم نبت من الحرام، والسادس: إذاقة البدن ألم الطاعات كما ذاق حلاوة المعصية ".

٢٣- ومن لذة ومتعة وحاجة المؤمنين للاستغفار تجدهم يسألون الله المغفرة ونورهم يسعي بين أيديهم: قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **(التحريم:٨)**

فائدة: **قال ابن القيم-رحمه الله- كما في الوابل الصيب ص٢٤**: قلت لشيخ الإسلام ابن تيمية – قدّس الله روحه – يومًا: سئل بعض أهل العلم[1]: أيما أنفع للعبد: التسبيح أو الاستغفار؟ فقال:" إذا كان الثوبُ نقيًا فالبَخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دَنِسًا فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي-رحمه الله-:" فكيف والثياب لا تزال دنسة؟".

من آداب الاستغفار:

١ – أن يعزم العبد المسألة:

ولا يقولن العبد: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يقولنَّ أحدُكم: اللَّهمَّ اغفر لي إن شئتَ، اللَّهمَّ ارحمني إن شئتَ، ولكن ليعزم المسألةَ، وليُعظِّم الرغبة، فإنَّ اللهَ تعالىٰ لا يتعاظمه شيء أعطاه ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شيءٌ أَعْطَاهُ ".

٢ – أن يوافق القلب اللسان في صدق الاستغفار والتوبة إلىٰ العزيز الغفار سبحانه.

احذر أخي الحبيب من الاستغفار باللسان، والقلب عازم علي عدم الإقلاع والإصرار علىٰ العصيان.

١- وهو ابن الجوزي كما في" فتح الباري:١١/١٠٣"، "وتذكرة الحفاظ: ٤/١٣٤٥"، "وسير أعلام النبلاء: ٢١/٣٧١".

فعندما يستغفر الانسانُ اللهَ تعالىٰ فعليه أن يستحضر جنايته وحاجته لمغفرة الله، وخوفه من ذنبه، ويتذكر أن الله مطلع علىٰ قلبه يعلم صدقه عند استغفاره من عدمه، وهذا يدعوه إلىٰ الإقلاع عن الذنب والاقبال علىٰ غافر الذنب، وقابل التوب سبحانه.

قال الفضيل -رحمه الله-:" استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين ".

وقالت رابعة العدوية-رحمها الله-:" استغفارنا يحتاج إلىٰ استغفار كثير ". **(الأذكار: ٤٨١)**

وقال الغزالي-رحمه الله- معلقا علىٰ قول رابعة وموضحا له:" فلا تَظُنَّ أَنَّهَا تَذمُّ حركة اللِّسَانِ مِنْ حيثُ إنَّه ذَكَرَ الله، بل تذمُّ غَفْلَة القلب فهو مُحتاج إلىٰ الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه ". اهـ

فلابد من حضور القلب عندما يلهج اللسان بالاستغفار.

يقول بعض أهل العلم:" وحضور القلب عند الاستغفار يثمر المعرفة، ويصحح المحبة، ويثير الحياء، ويبعث علىٰ المخافة، ويدعو إلىٰ المراقبة، والحرص علىٰ الطاعة، والبعد عن المعاصي والسيئات ".

وقال بعض أهل العلم أيضًا:" من استغفر بلسانه وقلبه معقود، وعزمه أن يرجع إلىٰ المعاصي بعد ذلك ويعود، فعمله عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود ".

من لوازم الاستغفار: التحلل من المظالم:

فكل انسان تاب إلىٰ الله واستغفر لذنبه فعليه أن يتحلل من المظالم وحقوق العباد التي عليه، فلا يكفىٰ أن يقول:" أستغفر الله" وفقط، بل عليه أن يرد الحقوق إلىٰ أهلها، ويُبرِّىٰء ذمته قبل أن يأتيه

الموت، والتعامل يوم القيامة بالحسنات والسيئات.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن كَانَتْ له مَظْلِمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليَومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَىٰ هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَىٰ ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ.

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلىٰ أهْلِها يَومَ القِيامَةِ، حتَّىٰ يُقادَ لِلشَّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ ".

موانع المغفرة:

١ - الشرك بالله عز وجل:

والشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله تعالىٰ إذا مات عليه صاحبه، ولم يتب منه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء:٤٨)

٢- ومن موانع المغفرة: الشحناء التي تكون بين المسلمين:

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويَوْمَ الخميس، فيغفر لكل عبد لا يُشرك بالله شَيْئًا، إلا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخيْه شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظُرُوا هَذين حَتَّىٰ يَصْطَلَحَا، أَنْظُرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظُرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلَحَا ".

٣- ومن موانع المغفرة: أكل الحرام:

فإذا دعا العبد ربه وهو آكلٌ لأموال الناس بالباطل، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، فجديرٌ بأن لا يستجاب له.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!

٤- ومن موانع المغفرة: المجاهرة بالذنوب:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كل أُمَّتِي مُعَافَىٰ إِلا الْمُجَاهِرِينَ ".

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله- تعالىٰ- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالىٰ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان علىٰ إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالىٰ– أعلىٰ وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمد، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك